غير مرخصة للطباعة

المحور الأول

التعريف العام بالإسلام

١٨

الإسلام كما نؤمن به
ضَوابط ومَلامح

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة تجريبية

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۞ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٩، ٢٠].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**». رواه البخاري.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**». متفق عليه.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، محمد وآله وصحبه مصابيح الدجى، ومَن بهم اقتدى فاهتدى.

(أما بعد)

فإن المسلمين يعانون اليوم جملة أزمات خطيرة، إذا لم يعالجوها فقد تهدِّد وجودهم وبقاءهم بوصفهم أمة متميزة، ذات رسالة حضارية للعالَم، بوَّأها الله مكان الأستاذية والشهادة على الناس، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأشد هذه الأزمات خطرًا أزمتان: الأزمة الفكرية، والأزمة الأخلاقية. الأولى تتعلق بعقول الأمة، والثانية تتعلق بضمائرها. ولا حياة لأمة ما لم تستقم عقولها، أو تحيَ ضمائرها.

ومن أبرز مظاهر الأزمة الفكرية: سوء الفَهم للإسلام، الذي أصيب به كثير من أبناء الأمة، وبعض هذا السوء موروث من عصور التراجع والتخلُّف الذي ابتُلي به المسلمون، نتيجة لانتشار الجمود في الفكر، والتقليد في الفقه، والشكلية في العقيدة، والصورية في العبادة، والسلبية في التصوف.

QaradawiBooks.com

وبعض سوء الفَهم الذي نعانيه وافد علينا، من أثر الغزو الفكري المخطَّط والمنظَّم، لاجتياح الأمة وهزيمتها من داخلها، وتسميم آبارها بمفاهيم أجنبية عنها، وأفكار دخيلة عليها، تعمل عملها في عقول أبنائها وبناتها بوساطة التعليم من الحضانة إلى الجامعة، ووساطة التثقيف والإعلام: بالكلمة المقروءة، والكلمة المسموعة، والصورة المرئية، وعن طريق مؤسسات التوجيه والترفيه: الصحافة والإذاعة والتلفاز، والمسرح والسينما، ومراكز الثقافة والتأثير. كلها تصبُّ في عقل المسلم وضميره صباح مساء ما لا يتفق وأصول الإسلام، وهداية القرآن، وتربية محمد ﷺ، وإجماع الصحابة ومَن تبعهم بإحسان.

وكان من حصيلة هذا: ما لمسناه عند كثير من المسلمين من الاضطراب في فَهم دينهم ورسالتهم، فرأينا منهم مَن يضيف إلى الإسلام ما ليس منه من المحدثات والبدع، ومنهم مَن يريد أن يحذف من الإسلام ما هو من صلبه، ومنهم مَن فهم تعاليم الإسلام على غير وجهها، ومنهم مَن أخلَّ بالتوازن أو بالنِّسَب التي وضعها للأعمال والتكاليف، فضيع «فقه مراتب الأعمال» أو «فقه الأولويات»، ومنهم مَن أخذ ببعض الأحكام والتعاليم، وأعرض عن البعض الآخر، أو ضخَّم بعضها على حساب البعض الآخر، فطغى في الميزان أو أخسر في الميزان.

وإذا كان كثير من المسلمين قد أساؤوا فَهم الإسلام ـ وهو دينهم وموئلهم، ومنبع عقيدتهم وشريعتهم، ومصدر عزَّتهم وصانع حضارتهم ـ فلا غرابة أن نجد غير المسلمين أكثر منهم سوءًا في فَهم الإسلام، وتصور حقيقته وتصويرها، ومنهم مَن درس الإسلام، وقرأ الكثير من مراجعه، ولكنه لم يحسن فَهمها لأسباب عدة؛ منها عدم تذوقه للعربية،

QaradawiBooks.com

ومنها خلفيته العقدية والفكرية، التي تتخذ من الإسلام ورسوله وكتابه وتراثه موقفًا عدائيًّا، من أول الأمر، فهو لا يقرأ قراءة المحايد، ومنها الباعث الذي حركه للدراسة ما هو؟

المهم عندنا هنا أن نصحِّح فَهم المسلمين وتصوُّرهم للإسلام، حتى يحسن سلوكهم وعملهم، فالفكرة تسبق الحركة، والعلم إمام العمل، ولهذا كان أول ما نزل من الوحي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، والقراءة هي باب العلم.

وهذه الرسالة الموجزة تحاول أن تضيء الطريق للمسلم المعاصر، وتصحِّح تصوره للإسلام، وتزيح عن وجهه الغبش والالتباس، وتضع الضوابط الضرورية لحسن فَهمه، كما تضع الأصول، أو الملامح الأساسية لتعاليمه، التي تسعى إلى إصلاح الفرد، وإسعاد الأسرة، وترقية المجتمع، والنهوض بالدولة، والسمو بالأمة، والاستشراف لعالم متعارف.

ومن أولى ما يجب أن يدركه المسلم هنا: أنه يستطيع أن يستمسك بدينه، ويعيش عصره، وأن يستمتع بحياته، ويمارس نشاطه، وأنه لا تناقض بين التدين والتمدين، كما يتوهَّم بعض الناس، ما دام التدين مستنيرًا، والتمدين مستقيمًا، بل هما في الحقيقة متكاملان متلازمان، فالواجب على الدين أن يتمدين، وعلى المدنية أن تتدين، بل الدين الحق هو أساس المدنية الحقَّة، أما فكرة «مدنية بلا دين» فهي مرفوضة، كفكرة «دين بلا مدنية».

إن تصحيح الفَهم والتصور هو بداية الطريق الصحيح للرقي بالأمة، حتى تكون المسيرة على هدى، والدعوة على بصيرة، وهي

QaradawiBooks.com

خطوة ضرورية في علاج الأزمة الفكرية، ومنها ننطلق إلى علاج الأزمة الأخلاقية.

فليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابًا!

نسأل الله تعالى أن يرزقنا صحة الفَهم، وسداد القول، وصدق النية، وصلاح العمل، إنه سميع مجيب.

القاهرة ربيع الآخر ١٤٢٠هـ

أغسطس (آب) ١٩٩٩م

يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ضوابط ومعالم لفهم الإسلام كما نؤمن به

حقائق متفق عليها:

قبل أن ندخل في صلب الموضوع، أود أن أُذكِّر بحقائق متَّفق عليها، أو ينبغي أن تكون متَّفقًا عليها، بين كلِّ المنتسبين إلى الإسلام.

الأولى: إن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا هي نعمة الهداية إلى الإسلام، فهو الذي هدانا من ضلالة، وعلَّمنا من جهالة، وخرجنا به من الظلمات إلى النور، وغدونا به دعاة البشرية إلى الخير، ومعلِّمي الأمم التوحيد والعدل والإحسان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الثانية: أننا حين أحسنَّا الصلة بهذا الدين بعقول واعية، وقلوب مؤمنة، وعزائم صادقة، وأيْدٍ متوضئة، أثمرت أخلاقًا زاكية، وعلومًا نافعة، وأعمالًا صالحة، ومجتمعات فاضلة، وحضارة متوازنة، شهد لها الخصوم قبل الأصدقاء، وأورث الله هذه الأمة ممالك أمم الحضارات الكبرى قبلها، حين ضلُّوا وانحرفوا وظلموا، وفسدوا، وكانت هي تمثِّل الهداية والاستقامة والعدل والصلاح، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

QaradawiBooks.com

الثالثة: أن من حقائق التاريخ الثابتة: أن المد والجزر، والقوة والضعف، والنصر والهزيمة، والامتداد والانكماش، والازدهار والذبول، والوحدة والفرقة، مرتبطة كلها بمدى قرب هذه الأمة من الإسلام أو بعدها عنه، ومدى استمساكها بتعاليمه أو تفريطها فيها، كما يتضح ذلك في الفترات المضيئة بالعمل والالتزام بهذا الدين، والجهاد في سبيله، مثل فترة الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز، وأوائل العباسيين، وعصر نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، وأمثالهم.

الرابعة: أن هذه الأمة لا يمكن أن يحركِّها محرِّك، أو يعبئ قواتها معبئٌ مثل الإسلام، فهو الذي ينفخ فيها الروح فتحيا بعد موات، ويبعث فيها عوامل الوحدة فتجتمع بعد شتات، ويفجِّر فيها حوافز الجهاد، فتقوى بعد ضعف، وتتحرَّك بعد سكون، وتستيقظ بعد رقود، ولا أمل في إحياء هذه الأمة وتقويتها وتجميعها، لتؤدِّي دورها، إذا عُزلت عن الإسلام أو وجِّهت بغير الإسلام.

على ضوء هذه الحقائق يجب أن يكون بحثنا عن الإسلام، مصدر قوَّة الأمة وعزتها لنتَّخذه لنا غاية ومنهاجًا، ونجعله عمدة رقيِّنا وتوحيدنا وبعثنا.

وهذا ما لا يجوز أن نختلف فيه، إذا كنا نريد الخير لأنفسنا، وللأجيال الصاعدة أمامنا والأجيال الوارثة لنا، ثم للأمم الأخرى التي حملنا الله عبء دعوتها إلى ما أكرمنا به من الهدى ودين الحق.

ولكن هذا كله إنما يفيد ويؤتي أُكله إذا أحسنَّا الفَهم للإسلام والفقه فيه، كما فهمه أفضل أجيال هذه الأمة وخير قرونها من الصحابة ومَن اتبعوهم بإحسان، فصحة الفَهم هي الشرط الأول لنجاح أيِّ عمل، أو دعوة للإسلام، فالفهم السليم أساس لأي عمل سليم.

QaradawiBooks.com

إلى أيِّ إسلام ندعو؟

بين دعاة الإســلام ودعاة العِلمانية واللادينية معركة حامية الوطيس في شــتى البلاد العربية والإســلامية، وهذا للأســف كان نتيجة للغزو الاستعماري الذي سُلط على ديار المسلمين فترة من الزمن، وحاول أن يقتلعها من جذورهــا، ففرض عليها أنظمة وتشــريعات وتقاليد وأفكارًا مستوردة دخيلة على هذه الأمة، فلما حمل الاستعمار عصاه ورحل، ترك وراءه مَن يســير على خطِّه، ويقتفي خُطاه، ترك تلاميذ وفروخًا من أبناء المسلمين أنفسهم، ممن يحملون أسماء المسلمين، ويعيشون في أرض المسلمين، مسلمون بالوراثة، ممَّن نسمِّيهم «المسلمين الجغرافيين»، أي الذين وُلدوا وعاشــوا في أرض المســلمين، وإن كانت رؤوســهم غير إسلامية. وحقَّقوا بذلك ما تمنَّاه بعض كبار «المبشِّرين» أو «المنصِّرين» حين قالوا: إن الشجرة ـ أيْ شجرة الإسلام ـ لا يقطعها إلا أحد أبنائها[1]!

هؤلاء يريدون أن يحيا المسلمون بغير الإسلام، وإذا بقي لهم شيء من الإسلام، فليكن الإســلام في ضمير الفرد فقط، علاقة شخصية بين الإنسان وربِّه، لا تتجاوز قفص الصدر، فإن خرجت من الضمير والصدر، فليكن حدودها المسجد لا تتجاوز المســجد. حتى المسجد لا تُترك له الحرية لتقال فيه كلمة الحق، وإنما هو مسجد موجَّه، ومنبر موجَّه: ينبغي أن يكون تحت رقابة الســلطة، فليس إســلامًا حرًّا، بل إســلامًا توجِّهه السلطة التنفيذية، وتلوِّنه كما تشــاء. هؤلاء الذين نشؤوا في ظل العهود الاســتعمارية، وتربَّوا هذه التربية: ينكرون على دعاة الإسلام أن يدعوا

(١) الغارة على العالم الإسلامي لألفريد لوشاتلييه صـ ٨٠، تعريب مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

إلى الإسلام شاملًا متكاملًا، ويُضْفُون على هذا الإسلام من قبيح الأوصاف، ما يخيفهم ويثبِّطهم، وهم في كلِّ حين يبتكرون وصفًا مستنكرًا، كانوا قديمًا يسمونه «الرجعية»، ثم صاروا يسمونه «التطرف» أو «التشدد»، ثم يسمونه الآن «الإرهاب» أو «الأصولية» أو «الإسلام السياسي». ولا ندري ماذا سيخترعون غدًا من الأسماء والعناوين؟!

ولقد رأينا العِلمانيين يغيرون مواقفهم، كما تغير الثعابين جلودها. في وقت من الأوقات، كانوا يهاجمون الإسلام علانية يقولون: لا نريد إسلامًا يقيِّدنا بأحكامه، ويفرض علينا قيمه، وكانوا يتبجحون بذلك، لا يخافون ولا يستحون! يقولون في صراحة يُحسَدون عليها: نريد أن نسير وراء الغرب شبرًا بشبر، ذراعًا بذراع، وأن نأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يُحَب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب. هكذا كان شعارهم في وقت من الأوقات، ثم انهزموا الآن أمام التيار الإسلامي الهادر، أمام هذا الجيش اللجب، أمام هذه الموجة الإسلامية المكتسحة في كلِّ مكان، أمام الصحوة الإسلامية التي أصبح قوامها الشباب والشابات، من المثقفين والمثقفات، في أنحاء الديار الإسلامية، لم يعودوا قادرين على أن يقولوا: نرفض الإسلام، وتستروا بدعاوى زائفة لا تقوم على ساقين.

ماذا يقولون اليوم؟ يقولون: أنتم تدعوننا إلى الإسلام، ولكن ما هذا الإسلام الذي تدعوننا إليه؟ إن الإسلامات كثيرة!

وهذا أخذوه عن أساتذتهم المستشرقين والمبشرين، الذين يزعمون أنه لا يوجد لدى المسلمين إسلام واحد، وإنما هناك إسلامات متعددة، تتعدَّد بتعدُّد المكان، وتتعدَّد بتعدُّد الزمن، وتتعدَّد بتعدُّد الأقوام، وتتعدَّد بتعدُّد المذاهب والاتجاهات.

QaradawiBooks.com

هناك إسلام آسيوي، وهناك إسلام إفريقي.

هناك إسلام عربي، وإسلام هندي، أو تركي.

هناك إسلام أُموي، وإسلام عباسي، وإسلام عثماني.

هناك إسلام صوفي، وإسلام سلفي.

هناك إسلام سني، وإسلام شيعي، إلى آخره.

هؤلاء أخذوا عن شيوخهم وموجِّهيهم والمخطِّطين لهم من المستشرقين والمبشِّرين هذه الدعوى، وقالوا: أي إسلام تدعوننا إليه؟ كما قال قائلهم من العلمانيين في الندوة التي عقدناها معهم في القاهرة في الثمانينيات، قالوا: أيُّ إسلام تدعوننا إليه؟ إسلام السودان، أم إسلام إيران، أم إسلام باكستان، أم إسلام السعودية؟ وأحيانًا يضيفون الإسلام إلى الأشخاص: إسلام النميري، أم إسلام الخميني، أم إسلام ضياء الحق؟! وأحيانًا يقولون: أهو إسلام رجال الدين، أم إسلام العساكر، أم إسلام الملوك؟

إسلامنا هو الإسلام الأول:

كان جوابنا الحاسم: إن الإسلام الذي نؤمن به وندعو إليه لا يرتبط ببلد، ولا يرتبط بشخص، ولا يرتبط بعهد، ولا بجنس، ولا بزمن، ولا بمذهب، إنما هو الإسلام الأول: إسلام القرآن والسنة، إسلام محمد ﷺ. من أراد أن يعرف الإسلام الذي ندعو إليه، فليفتح المصحف ويتلُ آياته ليعرف: إلى أي شيء ندعو، فليأتِ إلى صحيح السنة، إلى الكتب الصحاح، يعرف ما هو الإسلام الذي ندعو إليه.

هؤلاء يريدون أن يلزمونا بإسلام يفسرونه كما يشاؤون؛ ليتخذوا من وراء ذلك حجة للطعن في هذا الإسلام. قال بعضهم يومًا: أتريدون أن

QaradawiBooks.com

تعيدونا إلى عهد الحجاج الثقفي؟ أتريدون أن نعود إلى عهد الأمير الذي قال: مَن قال لي: اتــق الله. ضربتُ عنقه؟ أتريــدون أن تعيدونا إلى كذا وكذا؟ يبحثون عن انحرافات التاريخ؛ ليحمِّلوا الإسلام أوزارها.

يا عجبًا! لماذا تريــدون أن تُحمِّلوا أوزار الحجــاج الثقفي وأمثاله من الطغاة والمنحرفيــن على ظهر الإســلام؟ والعجب أننا حيــن نقول لهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم. يقولون: هذه فلتــات لا تتكــرر. أيْ أن الانحرافات تحمل على الإسلام، والاستقامة والعدل والنظافة لا تحسب له، أي منطق هذا؟!

يقولون: تريدون أن تعيدونا إلــى عهد الأمير الذي قال: مَن قال لي: اتق الله ضربتُ عنقه. لمــاذا تذكرون هذا، إن صح أنه قيل؟ ولا تقولون: إننا نريد أن نعود إلــى عهد الأمير الذي قيل له: اتــق الله. فقال: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها[١]؟ «وهو عمر». لماذا لا تقولون: إننــا نريد أن نعــود إلى عهــد الأمير الذي قــال: أطيعوني ما أطعــتُ الله فيكم، فــإن عصيتُه فلا طاعــة لي عليكم، إن أحســنتُ فأعينوني وإن عصيتُ فقوِّموني[٢]. «وهو أبو بكر». وكذلك الأمير الذي قال: مَن رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقومنــي. «وهو ابن الخطاب»، فلما قيل له: لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوّمناه بحدِّ سيوفنا. قال: الحمد لله الذي جعل في رعية عمر مَن يقوِّم اعوجاج عمر بحدِّ سيفه[٣].

---

(١) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢).

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢١٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤١٥/٩)، تحقيق عبد الله عبد المحســن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، وصحح إسناده، عن أنس.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩).

QaradawiBooks.com

هؤلاء يريـــدون أن يصوِّروا إســـلامًا على هواهـــم، على مزاجهم؛ ليسهل الطعن فيه، لهذا نحن نريد أن نقول: ما هو الإسلام الذي نؤمن به وندعو إليه؟

إسلام واضح المعالم:

الإســـلام الذي نؤمن به وندعو إليه: إسلام واضح، لا غبش فيه ولا لبس ولا ارتياب، إسلام القرآن والسنة، مصادره واضحة، وأهدافه ظاهرة، وأصوله بيِّنة. هنـــاك قطعيات، وهناك ظنيـــات. القطعيات هذه هي التي تمثل الأصول الأساســـية لهذا الإســـلام، التي تجســـد الوحدة الفكرية والشـــعورية والســـلوكية لهـــذه الأمة، فـــي العقائد، في العبـــادات، في الأخلاقيات، في الآداب، في الشـــرائع العملية. كل هذه الأمور القطعية تمثِّل الأســـس والدعائم والمقومات، وبعد ذلك هنـــاك أمور ظنية، هذه الأمـــور الظنية لم تُترك ســـدى، ولكن ضبطـــت بضوابـــط، قُعِّدت لها القواعد، وأُصِّلت لها الأصول. المسلمون ابتكروا علمًا لم تعرفه البشرية في أمة من أمم الحضارة، مهمة هذا العلم أن يضبط الاستدلال فيما فيه نصٌّ، وفيما لا نصَّ فيه، إنه علم «أصول الفقه».

الأمر إذن ليس ســـائبًا، إنه أمر محكم مضبوط، الإسلام الذي ندعو إليه، إسلام واضح المعالم، بَيِّن الأسس، بَيِّن الأهداف. نحن ندعو إلى «الإسلام الأول» قبل أن تُضاف إليه الشوائب والبدع والمُحدثات، نريد الإســـلام المنقَّى، الإســـلام المصفَّى، كما فهمه خير أجيال هذه الأمة، الصحابة ومن تبعهم بإحســـان، أفهمُ الناس لرُوح الإســـلام، ولمقاصد الإسلام، نستهدي بفَهم هؤلاء، وما عدا ذلك فكلٌّ أحد يُؤخذ من كلامه ويُترك، إلا المعصوم ﷺ.

نحن ندعو إلى إسلام يتجدَّد فيه الفهم والاجتهاد لمشكلات العصر، لا ندعو إلى جمود ولا انغلاق ولا عصبية مذهبية، نأخذ من كلِّ المذاهب، وليس هذا مقصورًا على المذاهب الأربعة، بل هناك مذاهب كثيرة منها ما انقرض ومنها ما لا يزال باقيًا، ومنها مذاهب وأقوال الصحابة والتابعين والأتباع، عشرات الفقهاء ومئاتهم، هؤلاء تركوا لنا ثروة خصبة وثرية، نستطيع أن نغترف منها وننهل منها؛ لنواجه حياتنا ونواجه التطور.

الشريعة الإسلامية لا تضيق بواقعة من الوقائع، الشريعة الإسلامية حكمت أممًا حضارية مختلفة، خرجت من جزيرة العرب، لتحكم بلادًا كان يحكمها الفرس والروم، مدنيات قديمة معروفة، مدنية الفرس، ومدنية الروم البيزنطيين، ومدنية الهند، ومدنية الصين، ومدنية الفراعنة، ومدنية الأشوريين والبابليين، ومدنية الفينيقيين. حكمت الشريعة الإسلامية هذه الديار كلَّها، فلم تضِق بجديد، كان لها مع كلِّ حادث حديث، ومع كلِّ مشكلة علاج، ومع كلِّ معضلة حل. هذه الشريعة موجودة والحمد لله، بمصادرها ونصوصها، وقواعدها، وأحكامها القطعية، وباجتهادات فقهائها الذين خلَّفوا لنا هذه التركة الضخمة من الاستنباطات والتخريجات والتفريعات والتعليلات والصور التطبيقية، لتكون زادًا ومعينًا لفقيه العصر، يأخذ منها ما يراه أرجح دليلًا، وأهدى سبيلًا، وأقوم قيلًا، مما يحقِّق مقاصد الدين ومصالح الدنيا.

إننا نستطيع أن نحلَّ كلَّ مشكلاتنا المعاصرة في ضوء اجتهاد إسلامي صحيح، يسترشد بالأصول، ويستهدي بتراث السابقين، ويلتزم بالقرآن وصحيح السنة، ينظر إليها بعين مفتوحة، ولكنه أيضًا ينظر إلى العصر وتياراته ومشكلاته بالعين الأخرى.

QaradawiBooks.com

معالم وضوابط للإسلام الذي نؤمن به:

الإسلام الذي ندعو إليه هو هذا الإسلام الشامل المتكامل النقي المصفَّى: بلا زيادة عليه، ولا انتقاص منه، ولا تشويه له، ولا إخلال بنِسَبه، ولا تجزئة له، بهذه الضوابط أو المعالم الخمسة.

الضابط الأول: إسلام بلا زيادات ولا شوائب:

رفض الزيادات التي أضيفت إلى الإسلام من جهة الغلاة والمتنطِّعين، فرسول الإسلام قد حذَّر منهم: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»[(١)]، «**هلك المتنطِّعون**» قالها ثلاثًا[(٢)]. فالواجب أن نأخذ الإسلام كما أنزله الله، بلا زيادة عليه: فالإسلام كامل، والكامل لا يقبل الزيادة، منذ قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. لا يستطع أحد أن يزيد في هذا الإسلام شيئًا، لا في عقائده، ولا في عباداته، ولا في تشريعاته، ولا في أصوله. إذا كانت هناك أديان أخرى قبلت الزيادة؛ لأنها حرفت وبدلت، وأعطت الخلق حق التشريع، وحق التحليل والتحريم، فما حلُّوه في الأرض فهو محلول في السماء وما عقدوه في الأرض فهو معقود في السماء. الإسلام رفض هذا، ودمغ هؤلاء بالشرك: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. ولما سأل عدي بن حاتم وكان قد تنصَّر في الجاهلية قال: يا رسول الله، ما كنا

---

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصححه على شرطهما، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

نعبدهم. قال: «**ألم يكونوا يحلُّون لكم الحرام فتحلُّوه، ويحرمون عليكم الحلال فتحرموه؟**». قال: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم إياهم**»[(١)].

الإسلام رفض هذا، ولم يعطِ أحدًا ـ لا مجمعًا ولا مؤتمرًا ولا خليفة ولا هيئة كبار علماء، ولا أحدًا أيًّا كان ـ أن يزيد في هذا الإسلام شيئًا أو ينتقص منه.

هناك ديانات كالديانة المسيحية عرف تاريخها ما سمِّي «المجامع المقدسة» عندهم، هذه المجامع أضافت إلى العقائد وعدَّلت وغيَّرت، في كلِّ مدة يضيفون إلى العقائد ما يشاؤون، مرة اعتبروا المسيح ابن الله، ومرة اعتبروه مجسد الألوهية، ومرة أضافوا «الروح القدس»، ومرة أَلَّهوا مريم العذراء، ومرة كذا، ومرة كذا. إذا اتخذ المجمع المقدس قرارًا، يصبح هذا القرار جزءًا من الدين وجزءًا من العقيدة.

في الإسلام لا يملك أحد إضافة شيء إلى هذا الدين، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وفي الحديث: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة**»[(٢)]، «**مَن أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد**»[(٣)]، أي هو باطل مردود عليه، كما تُرَدُّ العملة الزائفة.

---

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف ليس بمعروف في الحديث. والطبراني (٩٢/١٧)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٧١)، عن عدي بن حاتم.

(٢) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١٧٤/١)، وصححه، ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ولهذا كل ما أضيف إلى الإسلام على توالي العصور من بدع ومحدثات، كل هذا باطل مردود، غير مقبول في الإسلام، ويبقى الإسلام نقيًّا، ومن فضل الله أنه لم يخلُ عصر من العصور، إلا وقام فيه علماء يردون الأمة إلى الصراط المستقيم، وينكرون البدع والمحدثات في الدين، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

ومما أضيف إلى الإسلام على مر العصور: تشديدات بعض المتكلمين في العقائد، وبعض المتصوفة في السلوك، وبعض الفقهاء في الفتاوى من الميل إلى الأحوط، والإعراض عن الأيسر دائمًا، وهذه التشديدات قد تراكمت وتفاقمت حتى غدت تمثل آصارًا في الدين الذي جاء نبيه لوضعها عن الناس كما قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. والواجب العودة بالدين إلى اليسر لا العسر، وأن يقوم تعليمه على التيسير لا التعسير.

الضابط الثاني: إسلام غير منتقص منه:

كما ندعو إلى الإسلام بلا زيادة عليه، ندعو إليه بغير انتقاص منه كذلك، وهذا هو الضابط الثاني، لا نزيد على الإسلام، ولا ننتقص من الإسلام.

كان هناك في العصور الماضية تيار الزيادة على الإسلام، تيار الغلو والابتداع؛ لأن الابتداع عادة يكون من زيادة الرغبة في التقرب إلى الله، مع الجهل بحقيقة الدين.

وفي عصرنا الآن برز تيار محاولات الانتقاص من الإسلام، يريدون أن يُخرجوا من الإسلام ما هو من صلبه، ما هو من مقوماته.

QaradawiBooks.com

فهناك مَن يريد الإســلام عقيدة بلا عبادة، فما دمت أنت مؤمنًا بالله فهذا يكفيك عن أي عمل. أشبه بقول غلاة المرجئة قديمًا.

وهناك مَن يريده عبادة بلا أخلاق، فإذا صليت وصمت وأدَّيت الحج والعمــرة، فلا عليــك إذا كذبتَ في قولك، أو أســأتَ فــي عملك، أو غششتَ في تجارتك، أو ظلمتَ معامليك، مع أن العبادات إنما شرعت لتزكية النفس، وتكوين الضمير، وإنشاء التقوى، وإلا فلا قيمة لها، وفي صحيح البخاري: «**مَن لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[1].

وهناك مَن يريده أخلاقًا بلا تعبُّد، يقولون: بحســبك أن تكون رجلًا صادقًا تتعامل مع الناس بالعدل وبالصدق وبالحســنى، وليس مهمًّا أن تصلي أو تصوم. نظِّفْ قلبك، وحسِّــنْ خُلُقك، ويكفيك هذا. ناســيًا أن أســاس الدين هو العبــادة، وأن أول الأخلاق وفاء الإنســان بعهد ربه، ومقابلة نعمته بالشكر.

وهناك مَن يأخذ جــزءًا من القرآن ويتــرك جزءًا آخــر، يتعبَّد «بآية الكرســي» ويقرؤها عند النوم، ومــع هذا يتعامل بالربــا أو يتعامل مع البنوك الربوية. يا هذا الذي يتبرك بآية الكرســي، اقلب الورقة، تجد في الورقة التي بعدها فــي المصحف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

مشكلة كثير من المسلمين اليوم: أنهم جزَّؤوا الإسلام، جعلوه لحمًا على وَضَم، وأمسكوا بسكين التقطيع؛ ليقطِّعوه إرْبًا إربًا.

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

جماعة يريدون الإسلام زواجًا بلا طلاق، يريدون أن يحذفوا الطلاق أو تعدد الزوجات من الشرع الإسلامي وقوانين الأسرة الإسلامية، أي يريدون الإسلام أن يفقد خصائصه ليصبح نصرانية أخرى!

وبعضهم يريدون الإسلام سلامًا بلا جهاد، حتى مع الغاصبين، يريدونه دعوة إلى السلام، وليس للسلام هنا معنى إلا الاستسلام!

وهذا الجهاد يراد حذفه، لتبقى أمته بلا قوة لمقاومة أعدائه، حتى قامت نِحْلة أو نبوة زائفة كاذبة في بلاد الهند، قام بها رجل كان صنيعة استعمارية للإنجليز اسمه «غلام أحمد القادياني». مهمة هذه النحلة، أو أهم ما جاءت به هذه النحلة، أمران: الأمر الأول: إبطال الجهاد. والأمر الثاني: الطاعة لأولي الأمر، ولو كانوا كفارًا! وهذا طبعًا لا يخدم إلا الإنجليز المستعمرين في ذلك الوقت، إذ أوجبت الطاعة للحكومة القائمة ولو كانت فاجرة كافرة، وأبطلت الجهاد، أيْ أبطلت المقاومة، فأيُّ خدمة عظيمة تقدم للاستعمار أكثر من هذا؟!

هناك ـ مع مَن يريدون الإسلام سلامًا بلا جهاد ـ مَن يريدون الإسلام عقيدة وعبادة بلا تشريع. وهذه دعوة العلمانيين عمومًا، يريدون إخماد الشريعة الإسلامية وتجميد أحكامها، وليس هناك مانع عند هؤلاء أن تصلِّي أو تصوم الآن، فالعبادات الشخصية لا مانع أن نقوم بها، أما أن يحكم الإسلام الحياة، أما أن يضبط مسيرة المجتمع، أما أن يحتكم الناس إلى شرع الله، فهذا أمر مرفوض. ولا أدري كيف يمكن أن يأخذ الإنسان بجزء من الإسلام ويرفض الجزء الآخر؟

إذا قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. يقول: أنا آخذ بهذه الآية. وإذا قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ـ قبلها بآيات ـ يقول: لا أقبلها، القصاص والحكم بالإعدام هذا أمر مدني لا أمر ديني. فقل لي بربك أيها المسلم: كيف أطعت آية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، وخالفت آية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾، أو خالفت آية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]؟ وكلها في كتاب الله، وكلها في سورة واحدة!

هذا أمر مرفوض إسلاميًّا، كأن هؤلاء يقولون: «نأخذ ببعض الكتاب، وندع البعض الآخر» كما صنع بنو إسرائيل الذين قرَّعهم الله تعالى أشد التقريع حينما قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

الإسلام كُلٌّ لا يتجزأ:

يرفض الإسلام التجزئة، لأحكامه وتعاليمه فنأخذ بعضها وندع بعضها؛ لأنه يطلب منا أن ندخل في السلم كافة.

لقد أراد بعض اليهود أن يدخلوا في الإسلام ويستمسكوا ببعض تعاليمهم القديمة، مثل تعظيم يوم السبت، وقد رفض القرآن هذا، وقال: لا بد أن تأخذوا شرائع الإسلام جملة واحدة وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾. أي في شرائع الإسلام كافة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. والمراد بخطوات الشيطان: طرائقه التي يوسوس بها للناس في تجزئة الإسلام. وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. فالإسلام لا يقبل أن تقول: نأخذ (٥٠٪) من أحكامه، ونترك الباقي. (نأخذ النهاية الصغرى)! هذا هو الإسلام؟ الإسلام وصفة متكاملة، كما إذا وصف

QaradawiBooks.com

الطبيب للإنسان وصفة متكاملة، قال له: لا تأكل الطعام الفلاني، وتناول الدواء الفلاني. شيء قبل الأكل وشيء بعد الأكل، وشيء في أثناء الأكل. وأوجب عليه تمرينات خاصة، وحذَّره من أشـياء. هذه وصفة متكاملة، ولو قال المريض: آخذ الدواء الذي قبل الأكل، ولا آخذ الذي بعد الأكل. مَن يدري لعل هذا يضرُّه أكثـر مما ينفعه، لأنها وصفـة متكاملة يكمِّل بعضها بعضًا. فالإسلام لا يقبل التجزئة، لا بدَّ أن يُؤخذ الإسلام بحذافيره.

فمن هنا أقول: الإسلام الذي ندعو إليه هو إسلام متكامل، نأخذه بلا زيادة عليه ولا انتقاص منه، لا نأخذ جزءًا وندع الآخر. عيب المسـلمين في عصرنا، أو عيب كثير من المسلمين: أنهم يمسكون ببعض الإسلام، بجزء من الإسـلام، ويظن بعضهم أن هذا هو الإسـلام، ويترك البعض الآخر، شأن العميان مع الفيل، القصة التي حكاها الإمام الغزالي لجماعة من العميـان الذين وجدوا فيلًا، فبعضهم أمسـك بنابه، ولما سـئل عن الفيل، قال: الفيل عظم ناعم مدبب. والبعض الآخر أمسك ببطنه، وقال: بل هو جسم كبير مفرطح. وبعضهم أمسك بخرطومه، وقال: بل هو جسم طويل ملتوٍ. والواقع أن الفيل ليس هو هذا فقط ولا ذاك فقط، بل هو كل هذا، وهذا ما فعلوه مع الإسـلام، يتمسـك أحدهم بجزء من الإسلام، ويقول: هذا هو الإسـلام. والإسـلام عقائد وعبـادات، وأخلاق وقيم، وشـرائع ومعاملات، وهو كلٌّ لا يتجـزأ، هذا ما ينبغـي أن نعرفه فَهمًا وسلوكًا أيضًا، نفهمه شاملًا متكاملًا، ونعمل به شاملًا متكاملًا أيضًا.

لا ينبغـي أن يكون هنـاك الازدواج الـذي نراه في حيـاة كثير من المسلمين: إنه مسلم في المسـجد، فإذا خرج من المسجد أصبح إنسانًا آخر، مسـلم في رمضان فإذا خرج رمضان أصبح إنسـانًا آخر، مسلمة تصلي وتصوم في رمضان، فإذا خرجت إلى الشـارع كشفت رأسها، أو

QaradawiBooks.com

كشفت عن ذراعيها وساقيها، مسلم في موسم الحج أو العمرة، فإذا عاد إلى بلده نسي ما كان عليه بالأمس.

ليس هذا هو الإسلام، نريد الإسلام المتكامل الذي لا يجوز أن ننتقص منه، لا فهمًا ولا تطبيقًا. نحن ندعو إلى إسلام شامل متكامل مصفًّى بلا زيادة عليه، ولا انتقاص منه ولا تشويه له.

الضابط الثالث: إسلام غير مشوَّه ولا مُحرَّف:

أن نأخذ هذا الإسلام بصورته الربانية المشرقة، كما شرعه الله تعالى بلا تحريف له، ولا تشويه لقِيَمه ومعانيه ومفاهيمه، وذلك بحسن الفَهم له، والفقه فيه، والعودة إلى الأصول والمنابع، أي أننا نريد إسلامًا غير مشوَّه. هناك للأسف أناس أساؤوا فَهم الإسلام، وشوَّهوا تعاليمه، فهموه فَهمًا خاطئًا، ولبسوه كما يلبس الفرو مقلوبًا، كما قال الإمام عليٌّ رضي الله عنه [1].

لقد فهم هؤلاء كثيرًا من حقائق الدين على غير وجهها، سواء في العقائد، أم في الأخلاقيات، أم في العبادات، أم في المعاملات. خذ مثلًا فَهمهم لعقيدة «القدر» وكيف جعلوها مرادفة لعقيدة «الجبر»، وشاعت الجبرية الدينية عند جماهير من المسلمين، يعتقدون أن الإنسان مُسَيَّر لا مُخَيَّر، وأنه لا اختيار له ولا إرادة له، ولا قدرة له، إنما هو ريشة تحركها رياح القدر كيف تشاء.

على خلاف ما تنطق به آيات القرآن الكريم، التي تحمِّل كلَّ امرئ تبعة عمله، وأنه هو الذي يخط مصيره بيديه في دائرة السنن الإلهية التي

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٩١/٧)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء التراث العربية، عيسى البابي الحلبي.

QaradawiBooks.com

تحكمه وتحكم الكون كله من حوله، فهو يريد بإرادة الله، ويقدر بقدرة الله، وينطلق بأمر الله.

وهكذا كان الرسول الكريم، وكان أصحابه من بعده، كان الإيمان بالقدر مصدر قوة لهم، جعلهم لا يهابون الموت، ولا يخافون على الذرية من بعدهم، لأن الأجل بيد الله، والرزق بيد الله، فلا يملك أحد أن ينتقص من أجلك ساعة، أو من رزقك لقمة.

بل كان أحدهم يؤمن بأنه قدر الله الذي لا يغلب، وقضاؤه الذي لا يرد، قال خالد بن الوليد لأهل قنسرين: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم، أو لأنزلكم الله إلينا[1]!

كما فهم بعضهم التوكل مثلًا أنه التواكل. أخذوه على أنه ترك العمل وترك الأسباب. وما قال أحد: إن التوكل يعني ترك الأسباب. بل التوكل هو العمل واتخاذ الأسباب، ثم نَكُل النتيجة في النهاية إلى رب الأرباب «**اعقلها وتوكل**»[2] كما جاء في الحديث. أي تعقل الناقة وتربطها، وتأخذ حذرك وتتوكل على الله.

في الحرب تعدُّ العُدَّة المستطاعة كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

اعمل كل ما تستطيع ورتِّب الأمور، وهيِّئ الأسباب المقدورة لك، ثم ادخل المعركة وأنت مُتوكل على الله ﷻ، كما فعل النبي ﷺ في الهجرة، أعَدَّ العُدَّة، واتخذ الأسباب، وأعد الرواحل التي يركبها،

(١) تاريخ الطبري (٦٠١/٣).

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩٠/٨)، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

والرفيق الـذي سـيصحبه «أبا بكـر»، والدليل الذي يعـرف الطريق «عبد الله بن أريقط»، والغار الـذي يختفي فيه بعيدًا عن طريق المدينة؛ ليعمِّي على القوم «غار ثور»، ومَن يأتي بالطعام في الغار «أسماء بنت أبي بكر». رتَّب الأسباب التي يمكن أن يرتبها البشر، مع حسن تخطيط وإعداد وتنظيم، وبعد ذلك عندما جاء المشركون وأحاطوا بالغار، وقال أبو بكر: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا! هنا قال ﷺ في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: «**يا أبا بكر، ما ظنـك باثنين الله ثالثهما؟**» ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠][1].

هذا هو التـوكل الصحيح، حينمـا لا يكون أمامك سـبب، تتعلَّق بمسـبب الأسـباب، وربِّ الأرباب، لكن إذا كان لك مُكْنة واسـتطاعة فافعل ما تستطيع، ودبِّر ما تستطيع، ودع النتيجة لله تعالى.

هناك أناس فهموا الزهد فَهمًا خاطئًا، ظنوا الزهد أن تترك الدنيا، ألا تسعى لكسب العيش، ألا تعمل للدنيا، ألا تعمر الأرض، مع أن علماءنا قالوا: إن عمارة الأرض من المقاصد الشرعية الأساسية، وقد ذكر الإمام الراغب الأصفهاني أن هناك ثلاثة مقاصد أساسية للمكلفين:

المقصد الأول: عبـادة الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

المقصد الثاني: الخلافة في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

المقصد الثالث: العمارة في الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، أي طلب منكم أن تعمروها[١].

فالزهد لا يعني أن تترك السعي أو تهمل عمارة الأرض، إنما الزهد أن تعمل للدنيا بحيث لا تشغلك عن الآخرة، أن تمشي في مناكب الأرض وأنت ترنو إلى السماء، أن تعيش في هذه الدنيا بقلوب أهل الآخرة، أن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، وأن تعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا. هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، وهكذا قالوا.

هذا هو الزهد، أن تملك الدنيا ولا تملكك، أن تسخِّر الدنيا ولا تسخِّرك، أن تكون الدنيا في يدك وليست في قلبك. ولذلك كان هناك من الصحابة الأغنياء، وأصحاب الأموال، فأبو بكر كان من أغنياء الصحابة، وعثمان كان من أغنياء الصحابة، وعبد الرحمٰن بن عوف كان من أغنياء الصحابة، وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة. وعبد الرحمٰن بن عوف ترك عقاراته وبساتينه وديارَه وأمواله في مكة وهاجر في سبيل الله، وبدأ ـ كما نقول في عصرنا ـ من الصفر، ولما آخى النبي ﷺ، بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعرض عليه سعد بن الربيع أن يتنازل له عن إحدى دارَيْه؛ ليسكنها، وعن إحدى زوجتيه؛ ليطلقها له وليتزوجها، وعن شطر ماله ـ نصف ماله ـ فقابل ابن عوف هذا الإيثار الكريم بتعفف كريم أيضًا وقال له: بارك الله لك في أهلك، وبارك لك في دارك، وبارك لك في مالك! إنما أنا امرؤ تاجر فدلني على السوق[٢].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ٨٢، ٨٣، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، مصر.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وكانت السوق في أيدي بني قينقاع من اليهود ـ على طريقة اليهود من قديم في سيطرتهم على الاقتصاد ـ فذهب ينافس بني قينقاع، فما هي إلا مدة قليلة، حتى جاء وعليه رائحة طيب، فسأله النبي ﷺ، فقال: تزوجتُ، يا رسول الله. قال له: «**أولمتَ؟**». قال: لا. قال: «**أَولِم ولو بشاة**»[١].

عبد الرحمٰن هذا الذي بدأ من الصفر، حينما مات ترك ذهبًا ـ كما يقول ابن سعد وغيره[٢] ـ قُطّع بالفؤوس، وصولحت إحدى نسائه الأربع على ثمانين ألفًا ـ وهذه نصيبها ربع الثمن ـ أي واحد على اثنين وثلاثين من التركة، فكم كانت تساوي التركة في وقت كانت القوة الشرائية للدينار والدرهم كبيرة جدًّا؟!

ولكن عبد الرحمٰن بن عوف هذا حينما يجدُّ الجد يبذل الآلاف والملايين لتجهيز جيش العسرة، والإنفاق في سبيل الله والمستضعفين، وهكذا كان عثمان بن عفان، فالدنيا كانت في أيديهم، ولكنها لم تدخل إلى شغاف قلوبهم. استخدموا الدنيا ولم تستخدمهم، فالمهم ألا تتَّخذ الدنيا لك ربًّا فتتَّخذك لها عبدًا. هذا هو الزهد.

هناك أناس شوَّهوا تعاليم الإسلام، ومنهم الصوفية المنحرفة التي راجت بضاعتها في عصور الانحطاط وأشاعت في الناس «الدروشة». جعلت الواحد ينقطع عن الحياة أو يمشي في الفلاة بغير زاد، أو يعيش في رباط أو خانقاه بلا عمل، وهو قادر على العمل، وهذا ما لم يشرعه الإسلام، كما عرف من ينابيعه الصافية، وكما كان عليه الزهاد والصوفية الأوائل في الإسلام.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (١٤٢٧)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣٦/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

وحينما رأى سيدنا عمر بعض الناس مقيمين في المسجد بعد صلاة الجمعة، سألهم: مَن أنتم؟ قالوا: متوكلون. فقال: بل أنتم متأكلون. لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني. وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]؟ وعلاهم بدرته، وأخرجهم من المسجد[١].

هذا هو الإسلام، دين عمل وإنتاج:

المسلمون ظلموا الإسلام حينما أرادوا أن يأخذوه من تصرُّفات بعض الصوفية، لا أقول كل الصوفية، هناك صوفية دعوا إلى العمل، وكان بعض الصوفية يقول: ليجعل الرجل الصوفي مسبحته منشاره أو آلة الحدادة. أي يقول وهو يعمل: سبحان الله! فهناك أناس انحرفوا بالإسلام عن صراطه المستقيم، وشوهوا تعاليم الإسلام، ونحن نريد إسلامًا بلا تشويه.

هناك أناس في عصرنا يريدون أن يشوِّهوا أجمل ما في الإسلام، تصوروا أن الزكاة الركن الثالث في الإسلام بعد الشهادتين وبعد الصلاة، ثالثة الدعائم الإسلامية في القرآن والسنة، والتي قرنها القرآن مع الصلاة في ثمانية وعشرين موضعًا، هذه الزكاة يريد أن يفهمها على هواه، ويقول: تريدون أن نقيم العدالة الاجتماعية والتكافل بين الأفراد والفئات والطبقات على أساس الصدقات والإحسان، يريد أن يتصوَّر الزكاة لونًا من الصدقة التطوعية أو الإحسان الاختياري الفردي، وما

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

هكذا الزكاة، وبعضهم يقول: أي اشتراكية تريدون؟ أتريدون أن تدعونا إلى اشتراكية الصدقات[١]؟!

هذه الصدقات التي زعموها ليست كالصدقات في الأديان الأخرى.

الزكاة صدقة فعلًا، والقرآن عبر عنها بصدقة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]؛ لأنها تصدِّق إيمان صاحبها، وهي برهان على صدق الإيمان، كما جاء في «صحيح مسلم»: «**والصدقة برهان**»[٢]. يعني أنها تصدقه وتدلِّل عليه، وقد قال الإمام الماوردي: الزكاة صدقة، والصدقة زكاة، يفترق الاسم، ويتفق المسمى[٣].

هذه الصدقة أو هذه الزكاة، ركن وحق يجب أن يُدفع طوعًا وإلا أُخذ كرهًا، وقُوتل صاحبه بحدِّ السيف. والدولة الإسلامية لها سلطة أخذ هذه الفريضة بالقوة؛ لأنها في الأصل كما شرعها الإسلام ليست فريضة فردية، وإنما الأصل فيها أنها فريضة اجتماعية، وتنظيم تشرف عليه الدولة الإسلامية، ولذلك يقول القرآن: ﴿خُذْ﴾. فهي شيء يُؤخذ، «**تُؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**»، كما جاء في حديث إرسال معاذ إلى اليمن[٤]. ولذلك نجد القرآن لم يكِل هذا الأمر للأفراد، ولم يدعه فوضى، ولكن جعل هناك جهازًا سماه القرآن: (العاملين عليها). وهو الجهاز الإداري والمالي لجباية الزكاة وتوزيع الزكاة، وهؤلاء العاملون

(١) من هنا نبدأ لخالد محمد خالد صـ ٥٦ وما بعدها، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٢، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، عن أبي مالك الأشعري.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي صـ ١٧٩، نشر دار الحديث، القاهرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

عليها يأخذون نصيبهم، وأجرتهم من ميزانية الزكاة حتى لا تتعطل. أي تنظيم أعظم من هذا التنظيم؟

هذه الفريضة عليها حراس ثلاثة:

حارس من داخل الضمير «**حارس الإيمان**»: أي الوازع الديني، فخشية الله ومراقبته قبل كل شيء، فهذا حارس أول. **حارس اجتماعي**: وهو الرأي العام الإسلامي الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وهناك **حارس قانوني**: تقوم عليه الدولة الإسلامية، التي يعطيها الإسلام حق الأخذ بالكَره، وحق المقاتلة إذا كانت هناك فئة ذات شوكة تمرَّدت وامتنعت عن أداء الزكاة، فإن الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال الخليفة الثالث عثمان بن عفان[١].

وكلنا يعلم أن الدولة الإسلامية هي أول دولة في التاريخ تقاتل من أجل حقوق الفقراء، أول دولة تجيِّش الجيوش لذلك، فأبو بكر جهَّز أحد عشر لواءً؛ ليقاتل المرتدين ومانعي الزكاة، ولما اشتبه ذلك على عمر في أول الأمر وقال: كيف نقاتلهم وقد قالوا: لا إله إلا الله. ومَن قالها عصم دمه وماله إلا بحقها؟ قال: والله لأقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. نبهه على قوله: إلا بحقها، وهذا هو حق المال. ثم قال: والله لو منعوني عَناقًا ـ عنزة صغيرة ـ وفي رواية: عقالًا ـ حبل يربط به البعير ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه[٢]. قاتل أبو بكر مانعي الزكاة، فهل الفقراء أقاموا مسيرة أو مظاهرة يطالبون بحقوقهم؟ كلا، إن

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤١٦/١١)، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإســـلام هو الذي فرض لهم هذا دون أن يشـــعروا أن لهـــم حقوقًا عند الأغنياء، إنما الإســـلام جعل هذا حقًّا، وهو حقٌّ معلـــوم، معلوم كم هو، ولمَن هو، وعلى مَن هو، ومتى يدفـــع؟ معلوم الوعاء والنصاب والمقدار والزمن والمصرف، مفصَّل تفصيلًا في الفقه الإسلامي، لكن للأسف نجد بعض الناس شـــوَّهوا هذه الفريضة العظيمة وصوَّرها كأنما هي إحســـان فردي من غنيٍّ متعالٍ على فقير منكســـر، ينحني أمامه، ويسأله من فضله، فينعم عليه بدريهمات أو لقيمات، يُقبِّل بعدها يده، ويدعو له بطول العمر.

وهي صورة لا تمتُّ إلى حقيقة الزكاة بصلة، وقد بيَّنا ذلك في كتابنا «فقه الزكاة»، وفي كتابنا «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، وغيرها من الكتب.

هذه الصور من تشويه الإسلام ومسخه مرفوضة بلا ريب، فنحن نريد الإسلام ناصعًا، بلا تشويه ولا تحريف.

٤ ـ المحافظة على النِّسَب والتوازن بين الأعمال:

ثم هناك ضابط رابع للإسلام الذي نريد، إنه الإسلام المتوازن، بلا إخلال بالنِّسب التي وضعها للتكاليف والأعمال.

هناك لكلِّ عمل في الإســـلام مقدار ومرتبة، ينبغـــي أن يوضع كل عمل في مرتبته الشـــرعية، لا نخلُّ بالنســـب بين الأعمـــال، فلا نؤخِّر ما حقُّـــه التقديم، ولا نقدِّم ما حقُّه التأخير، هناك أشـــياء تعتبر أسسًـــا، وأشياء تعتبر أقل من أسس، هناك العقائد في المقدمة، ثم تأتي بعد ذلك الأركان الخمســـة، ثم تأتي بعد ذلك الفرائـــض التي هي دون الأركان، وهناك أشـــياء عند بعض الفقهاء يرونها دون الفرض وفوق السنة، وهي التي سمَّوها: الواجبات. وهناك السنن المؤكدة، وهناك المستحبات غير

QaradawiBooks.com

المؤكدة. كلها مراتب بعضها دون بعض، كما قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩].

وفي الحديث الصحيح: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إلــه إلا الله، وأدناها: إماطــة الأذى عن الطريق**»[(١)]. فهنــاك إذنْ أعلى وأدنى، وبينهما ما يقترب من الأعلى، وما يقترب من الأدنى.

وفي الجانب الآخر ـ جانب المنهيات ـ هنــاك الإلحاد والكفر، والشرك الأكبر، وهناك الشرك الأصغر، وهناك الكبائر، حتى الكبائر فيهــا أكبر الكبائــر ـ كما جــاء في الحديــث[(٢)] ـ ثم هنــاك صغائر المحرمــات، المقطوع بحرمتهــا، ثم دونهــا المشــتبهات، الأمور المختلــف عليهــا، ويشــتبه الأمر فــي حِلِّهــا وحرمتهــا، وهناك المكروهات، ما كان مكروهًا تحريمًا، وما كان مكروهًا تنزيهًا، وهناك ما يسمَّى خلاف الأولى.

يجب أن نعرف سُــلَّم هــذه المراتــب، ولا نذيب الفــوارق بينها، لا ينبغي أن نقيم معركة من أجل أمر مســتحب، فــي حين ضيَّع الناس الفرائض، بعض الناس يشعل معركة على أمر مختلَف فيه، مع أن العلماء قالوا: لا إنكار في الأمور الاجتهادية.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) إشــارة إلى الحديث المتفق عليه، عن أبي بكرة قــال: قال النبــي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**». ثلاثًا، قالوا: بلى، يا رســول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**». وجلس وكان متكئًا فقــال: «**ألا وقول الزور**». قال: فمــا زال يكررها حتى قلنا: ليته ســكت. رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧).

QaradawiBooks.com

ينبغي أن يكون تركيزنا على الأمور الأساسية أولًا، الأمور المتَّفق عليها، وبخاصة في هذه المرحلة، ثم يرتقي الإنسان بعد ذلك من مرتبة إلى مرتبة، كما يرتقي الطالب من مرحلة ابتدائية إلى إعدادية إلى ثانوية إلى الجامعة إلى الماجستير إلى الدكتوراه.

كذلك الإنسان في الدين يرتقي في الإيمان من درجة علم اليقين إلى عين اليقين، إلى حق اليقين، كما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ويرتقي في العمل من «منزلة القرب» بأداء الفرائض إلى «منزلة الحب» بأداء النوافل، «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه**»(١).

وقد يرتقي من مرتبة الظالم إلى نفسه، إلى مرتبة المقتصد، ثم إلى مرتبة السابق بالخيرات بإذن الله.

هناك إنسان يكفيني منه أداء الفرائض، أيْ إذا أدى الفرائض واجتنب الكبائر، أقول له: أهلًا وسهلًا، أحسنت. ولقد رأينا النبي ﷺ حينما سأله أحد الأعراب: يا رسول الله، أخبرني ماذا يجب عليَّ؟ قال: «**عليك خمس صلوات في اليوم والليلة**». قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». ثم ماذا؟ قال: «**عليك صوم رمضان**». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**عليك الزكاة**». قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». وذكر له الفرائض. وبعد أن سمع الرجل هذا قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق**»(٢)، أو: «**أفلح وأبيه إن صدق**»(٣)، أو: «**دخل الجنة إن**

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان، عن طلحة بن عبيد الله.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١١) (٩).

QaradawiBooks.com

صدق»[١]. وفي مقام آخر قال: «**مَن سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**»[٢].

فقد اكتفى من هذا الأعرابي بأن يقف عند الفرائض لا يزيد ولا ينقص، طبعًا لا يقبل هذا من مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمٰن بن عوف، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

ينبغي كذلك أن نراعي أن كل عمل في الإسلام له سعر معين، له تسعيرة، فينبغي ألا نتجاوز به سعره وقيمته، فالخلط بين الأشياء أخَّر الدعوة الإسلامية كثيرًا، يجب أن نركز على المسائل الأساسية والقضايا المصيرية، ولا نشتغل بالصغير عن الكبير، وبالجزئي عن الكلي. هذا ما ينبغي أن نقوله في مقامنا هذا، لا ينبغي أن نخلَّ بالنِّسب، فنكبِّر الصغير، أو نصغِّر الكبير، أو نعظِّم الهيِّن، أو نهوِّن العظيم والخطير، بل نضع كل شيء في موضعه ومرتبته[٣].

إخلال المسلمين بهذه النِّسَب:

المسلمون في عصورهم الأولى راعوا هذه النِّسَب حق رعايتها، ولكنهم في عصرنا، وفي العصور الأخيرة أخلوا بهذه الأشياء، أحيانًا اهتموا بالنوافل أكثر من اهتمامهم بالفرائض، فنجد واحدًا مثلًا يحجُّ الحجة السابعة، أو يعتمر في رمضان كل سنة، على حين أن عليه ديونًا لعباد الله لا يقضي هذه الديون، أو يظلم مَن يتعامل معه، عنده موظفون أو مستأجرون يأكل حقوقهم. وكان الأولى أن يقال له: يا أخي بدلًا من

(١) رواه البخاري في الصوم (١٨٩١).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.
(٣) راجع كتابنا: في فقه الأولويات، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

أن تذهب للحج للمرة السابعة أو العشرين، لماذا لا تعطي هؤلاء الناس حقوقهم؟ أعطِ لهؤلاء الناس حقوقهم، سدِّد ما عليك من ديون، فهذا فرض وهو مقدم على حج التطوع. جاء في الحديث في «صحيح مسلم»: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن**»[1]، فهل تظن أن عمرتك أو حجتك تُسقط عنك ديون العباد؟ والشهادة في سبيل الله لا تسقطها؟!

يصاب كثير من المسلمين بسوء الفهم في هذه الناحية، أنا نصحت بعض المسلمين من الإخوة المصريين حين رأيتهم يحجون كل عام، ومنذ عرفتهم وأنا شاب صغير، أراهم يحجون كل عام ويعتمرون كل رمضان، يُخيَّل لي أنهم حجوا حوالي الأربعين مرة. قلت لكبيرهم: ما رأيك يا حاج فلان، أنت تحجُّ ويحجُّ معك مجموعة من الإخوة والأبناء والأقارب والأحباء، فأنتم حوالي خمسين شخصًا تذهبون إلى الحج كلَّ عام، يصرف كلٌّ منكم ما لا يقل عن عشرين ألف جنيه: (٥٠× ٢٠٠٠٠ = ١٠٠٠٠٠٠) أي مليون جنيه مصري.

فلو أن ما تصرفونه في هذا الحج تعطونه للجياع في مصر أو في إفريقيا، أو لإقامة بعض المشروعات المعطَّلة، أو لتعليم المسلمين الجاهلين، أو لرعاية اليتامى والمشردين أو ... أو ... وما أكثر ما يحتاج الإسلام من مال في بقاعٍ شتى، لكان هذا أولى عند الله، قال: كلامك صحيح، ولكن يا أخي، كلما جاء الموسم أحسُّ بشوق، وترفرف روحي حول البيت الحرام. المسألة إذن متعة، صحيح أنها متعة روحية، ولكن لماذا لا نفتِّش عن الأولويات ونستمتع بها، وما الذي ينبغي عمله؟ أأترك المسلمين يموتون جوعًا، أو يتعرضون لهجمات التنصير، أو هجمات

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأحمد (٢٢٥٨٥)، عن أبي قتادة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الشيوعية، وأستطيع أن أبذل لهم وأعطيهم، وأذهب إلى الحج لأؤدي الحجة الأربعين أو أعتمر العمرة السبعين؟! ينبغي أن نفاضل بين الأمور بعضها وبعض، ونقدم الفرائض على النوافل، فالقاعدة: أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدَّى الفريضة، وهذا ما سمَّيناه «فقه الأولويات».

هذا هو الفَهم الذي نريده للإسلام، نحن ندعو إلى الإسلام بهذه الضوابط، بلا زيادة عليه، ولا انتقاص منه، ولا تشويه لتعاليمه ولا إخلال بنِسَبه.

٥ ـ شمولية الإسلام وتكامله:

هناك ضابط خامس لفهم الإسلام، وهو التكامل، على معنى أن نأخذه بجميع شعبه وأجزائه وأبعاده، وهو تأكيد للضابط الثاني في جانبه الإيجابي.

فهذا الإسلام لا يدع ناحية من النواحي، إلا ودخل فيها بالتوجيه والتشريع، فهو رسالة شاملة للفرد وللأسرة وللمجتمع وللأمة.

أبعاد أربعة أساسية لبيان شمول الإسلام:

ومن دلائل هذا التكامل هذه الشعب الأربع الأساسية التي تنقسم إليها تعاليم الإسلام، ويفهم في ضوئها: شعبة تتجه إلى النفس، وشعبة تتجه إلى المجتمع، وشعبة تتجه إلى الحكم، وشعبة تتجه إلى الكون.

الشعبة الأولى: البعد الإيماني والأخلاقي:

تتجه إلى النفس فتصلحها بالإيمان والتزكية، وهذا هو «البعد الإيماني» فأساس الحياة هو الإيمان، وسرُّ الوجود هو الإيمان، ولن

QaradawiBooks.com

نستطيع أن نصلح مجتمعاتنا إلا إذا أصلحنا الأنفس. فصلاح المجتمعات بصلاح أفرادها، وصلاح الأفراد بصلاح أنفسها، لا يمكن أن يصلح الناس بغير هذا الأمر، الماركسيون يقولون: غيِّر الاقتصاد وعلاقات الإنتاج يتغير التاريخ. أما الإسلام فيقول: غيِّر نفسك ـ أو غيِّرْ ما بنفسك ـ يتغير التاريخ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. سنَّة من سنن الله في المجتمع والحياة.

فكيف نغير ما بالأنفس؟ نغير ما بالأنفس عن طريق العقيدة، بأن نصب في عروق الإنسان: الإيمان الصحيح والتوحيد الصحيح، بحيث لا يرضى بغير الله ربًّا، ولا يتخذ غير الله وليًّا، ولا يبتغي غير الله حكمًا. هذا التوحيد الذي يسقط الأرباب الزائفة كلَّها من البشر أو من الحجر، فلا يعفِّر المرء جبهته إلا لله تعالى ساجدًا، ولا يحني ظهره إلا لله تعالى راكعًا، ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، هذا هو الذي يصنع الإنسان البطل، المنتج في السلم، المنتصر في الحرب، الصالح في نفسه، النافع لغيره، الواثق بنفسه، المؤمن بربه، الناصر للحق، المحب للخير، الذي يبذل لأمته وإن لم تكافئه، ويخدم مجتمعه وإن تنكر له، ويجاهد في سبيل الله ولا يخاف لومة لائم، هذا الإنسان الذي يبحث عنه الوطن، وتحرص عليه الأمم، إنما يصوغه ويصهره عندنا مصنع الأبطال، وهو العقيدة، إنما يصنعه الإيمان ولا شيء دون الإيمان، أعطني إيمانًا أُعْطِك أبطالًا!

ماذا فعل النبي ﷺ بالعرب؟ العرب الذين فسدت عقولهم فعبدوا الحجارة، وفسدت قلوبهم فوأدوا البنات، وقتلوا أولادهم من إملاق أو خشية إملاق. ماذا بقي من الإنسان إذا فسد عقله وفسد قلبه؟ النبي ﷺ بنى هذا الإنسان من جديد بعقيدة التوحيد، صنع من عرب الجاهلية

QaradawiBooks.com

عرب الإسلام، عرب الخمر والميسر، والزنى والربا، والفحشاء والمنكر والبغي، صنع منهم عرب البطولات والإيمان والأخلاق والفضائل[١].

نظر أحد قادة الفرس إلى المسلمين في عهد عمر، فوجدهم يتوضؤون ويتطهرون ـ وكان العرب لا يقيمون للطهارة وزنًا ـ ثم يقفون صفوفًا منتظمة متراصَّة خلف إمام واحد، كأن على رؤوسهم الطير، صفوفًا كصفوف الملائكة متلاصقين، فنظر إليهم هذا القائد الفارسي وقال: أكل كبدي عمر، لقد علَّمهم مكارم الأخلاق[٢]. والحقيقة أن الذي علَّمهم وعلَّم عمر معهم هو محمد رسول الله ﷺ، أو قل: هو الإسلام الذي جاء به محمد.

نحن نشكو الآن من التخلُّف، فقد أصبحنا وراء الأمم، يسمُّوننا العالم الثالث، أو البلاد النامية، والبلاد النامية كلمة ملطفة للبلاد المتخلفة، وبيننا وبين الآخرين مسافات ومسافات، وهذه المسافات لا تضيق الآن بمضي الزمن، بل تتسع الهُوَّة، وتتعمَّق الفجوة، كيف نستطيع أن نعوِّض ما فاتنا وأن نلحق بالقوم؟ ناهيك أن نسبقهم؟ هذا لا يصنعه إلا إيمان عميق يفجر الطاقات المكنونة، وينشئ الإنسان خلقًا آخر، إنه الإيمان الذي صنع العرب من قبل، الإيمان الذي غيَّر سحرة فرعون، فنقلهم من مجرد «حواة» يلعبون بالحبال والعصي إلى «هداة»، إلى أناس يَتَحدَّوْن فرعون المتألِّه الجبار، ويقولون له في إيمان وثقة: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: ٧٢].

---

(١) انظر كتابنا: الإيمان والحياة صـ٢٨٣ ـ ٢٩٤، فصل: الإيمان والإصلاح، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٨، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

(٢) تاريخ الطبري (٥٣٢/٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإيمان هو صانع العجائب، هو مصنع الرجال، ومعمل الأبطال، الإيمان الصحيح، وليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، كما جاء عن الحسن البصري وغيره[١]. إيمان كما عرَّفه السلف، تصديق بالجنان وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. هذا الإيمان الذي يتجسَّد في الأخلاق، وفي الأعمال الصالحة: «**الإيمان بضع وسبعون شبعة ... والحياء شعبة من الإيمان**»[٢]، الإيمان كما ذكره القرآن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٤].

الإيمان أخلاق وفضائل، وهذا البعد الإيماني الأخلاقي أمر نؤكد عليه في الإسلام الذي ندعو إليه، هذا الجانب التربوي المهم؛ تربية الإنسان المؤمن، الرجل المؤمن، والمرأة المؤمنة، والمجتمع المؤمن الذي يربى على الإيمان برسالة عظيمة، بأهداف كبيرة، أهداف أكبر من المادة، وأوسع من الحاضر، وأعمق من مجرد لقمة العيش، رسالة السحرة حينما آمنوا، ورسالة الصحابة حينما أسلموا، فانتقلوا من ظلمات الجاهلية، إلى نور الإسلام. هذه هي الشعبة الأولى التي نركِّز عليها في نظرتنا إلى الإسلام.

الشعبة الثانية: البعد الاجتماعي:

وهي التي تتَّجه إلى المجتمع لتقيم فيه العدالة والتكافل بين الناس بعضهم وبعض، وهذا هو البعد الاجتماعي، فالإسلام دين اجتماعي، ولا يتصور الإنسان فردًا في فلاة يعيش وحده، فهو مدني بطبعه، كما قال الأقدمون، أو هو حيوان اجتماعي، كما يقول المُحْدَثُون.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣٠٩٨٨).

(٢) سبق تخريجه صـ٣٥.

QaradawiBooks.com

جاء الإسلام دينًا وسطًا لأمة وسط، يعنى بحاجات المجتمع، عنايته بحاجات الفرد، ويوازن بين النظرة الفردية والنظرة الاجتماعية، فلا يضخِّم الفرد على حساب المجتمع، كما لا يضخِّم المجتمع على حساب الفرد، بل يعطي كلًّا منهما حقَّه، ويطالبه بواجبه، بلا طغيان ولا إخسار: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٨، ٩].

غرس الإسلام في نفس المسلم التفكير الجماعي، والشعور الجماعي، حتى إن المسلم حينما يقف في الصلاة، ولو كان في قعر بيته وحده يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. إنه يستشعر الجماعة في ضميره، ثم يدعو ربه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. فيسأله الهداية لنفسه وللجماعة معه، والقرآن حين يخاطب بالتكاليف إنما يخاطب الجماعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فلماذا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾. ولم يقل: «يا أيها المؤمن»؛ لأنه يعتبر الجماعة متضامنة في تنفيذ أحكام الله. حتى الأحكام المتعلقة بأمور الدولة، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ [النور: ٢]، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟﴾ [المائدة: ٣٨]. هل كل المسلمين يقطعون السارق أو يجلدون الزاني؟! ولكن الخطاب للأمة، لماذا؟ لأن الأمة متضامنة، بحيث لو قصَّر حكامها والمسؤولون عنها في تنفيذ أحكام الله، فإن على الأمة مسؤولية. الأمة تشترك في المسؤولية، كلٌّ على قدر استطاعته، عليها أن تدعو وتأمر وتنهى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. هذا ما جاء به الإسلام.

جاء الإسلام بهذا المعنى الاجتماعي، فاهتمَّ بالمجتمع وبمشكلات المجتمع، وبخاصة الفئات الضعيفة فيه، الفئات المضيَّعة في المجتمعات قبل الإسلام، اهتمَّ الإسلام بها وفرض لها حقوقًا مادية وأدبية، كما رأينا في الزكاة.

QaradawiBooks.com

في الحديث الذي رواه البخاري يقول: «**هل تُرزقون وتُنصرون إلا بضعفائكم**»[١]. هذا الرزق والنصر هنا يأتي بدعائهم وإخلاصهم من ناحية، ومن ناحية أخرى يشير الحديث إلى جانب هام يغفل عنه كثيرون، فهذه الفئات الضعيفة ـ الفلاحون والعمال والزراع والموظفون وصغار الحِرَفيين ـ هؤلاء الذين ربما نُظِر إليهم بازدراء، هم عدة الإنتاج في السلم، وعدة النصر في الحرب، هم الذين يعملون على زيادة الإنتاج الاقتصادي. بل هم القوة المنتجة في الواقع، وهم القوة المحاربة أيضًا، فهم الجنود في الجيوش، لذا قال ﷺ: «**هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم؟**». إشارة إلى أهمية هؤلاء في السلم والحرب. ولذلك اهتم الإسلام بهؤلاء قبل أن يعرف العالم الاشتراكية والشيوعية والماركسية، وهذه المذاهب التي جاءت من هنا وهناك، اهتم الإسلام بهذه الفئات الضعيفة ودافع عنها دون أن تطالب هي بحقوقها، بل دون أن تشعر أن لها حقوقًا، لقد كانت دائمًا تشعر أن عليها الواجبات والأعباء، وليس لها حقوق، فجاء الإسلام يقرر لها حق الكرامة الأدبية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وحق المساواة بالآخرين: «**لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**»[٢]. وحق الحرية والاختيار: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولا في الدنيا. وحق الكفاية من العيش، فلا يجوز أن يجوع إنسان وبجواره شبعان، هذا البعد الاجتماعي، البعد الإنساني، البعد الاقتصادي، اهتمَّ به الإسلام اهتمامًا بليغًا.

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٦)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

الشعبة الثالثة: البعد السياسي:

هناك بُعد آخر أو شعبة ثالثة تتعلق بالجانب السياسي، فالإسلام أقام نظامه السياسي على العدل والشورى، إن النظام يجب أن يقام على العدل لا على الظلم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الله يبقي الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويخذل الدولة الظالمة، ولو كانت مسلمة[١]. يقصد بالمسلمة: التي يكون أصحابها مسلمين، يتسمَّون بأسماء الإسلام، ولكنهم لا يطبِّقون الإسلام الحق، ولا يؤدون الأمانات إلى أهلها، ويظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق.

اهتمَّ الإسلام بهذه الناحية، حتى جاء في الحديث: «**ليوم من والٍ عادل خير من عبادة ستين سنة**»[٢]، فالإمام العادل ـ كما قال الحسن البصري ـ هو الذي يقوم بين الله وعباده، يسمع من الله ويُسمِعهم، وينقاد إلى الله ويقودهم[٣]. هو أحد السبعة، أو أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. هو الذي أقام العدل بين الناس: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

والشورى أيضًا أساس من أسس الحكم في الإسلام، ألا يحكم الناسَ واحدٌ رغم أنوفهم، ويقودهم إلى ما يكرهون، مهما يكن هذا الشخص، بعض الناس قالوا مرة على لسان الشيخ جمال الدين الأفغاني: إنه لا ينهض بالشرق إلا مستبد عادل. وهذا غير صحيح عنه[٤]، ولا

(١) مجموع الفتاوى (١٤٦/٢٨).

(٢) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩)، وحسن إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٢٠٥، عن ابن عباس.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٣/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٤) أشيعت هذه المقولة في حياة السيد جمال الدين الأفغاني، وقد سأله محمد باشا المخزومي: =

QaradawiBooks.com

يمكن أن يجتمع العدل والاستبداد، فالعادل لا يكون مستبدًّا والمستبد لا يكون عادلًا.

وإذا كان الإسلام طلب الشورى في أبسط الأمور، كشأن الزوجة مع زوجها، أو المرأة مع مطلقها، إذا كان هناك ولد بينهما: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. تشاور في مثل هذا الأمر، فكيف بأمر الأمة؟

وإذا كان الإسلام لم يسمح بأن يجبر الأب ابنته أن تتزوَّج بغير رضاها وهي كارهة، فكيف يسمح بأن تُحكم الأمة بغير رضاها؟ أو يقودها أمير وهي له كارهة، وعليه ساخطة؟

وجاء في الأحاديث ذم الإمام في الصلاة الذي يؤم قومًا وهم له كارهون[1]، فإذا كان هذا في الإمامة الصغرى فكيف في الإمامة الكبرى؟

الشورى أساس من الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم، والحياة الإسلامية.

جاء في القرآن المكي في سورة سُميت بهذا الاسم ـ الشورى ـ قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وفي القرآن المدني: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. إنما أكد الإسلام ذلك حتى لا يستبد بالمسلمين مستبِد، يقهرهم على الباطل، ويسوقهم بعصاه، فالأمر شورى، والخلافة بيعة.

= إن المتداول بين الناس على لسانك قولك: يحتاج الشرق إلى مستبد عادل. فقال له: هذا من قبيل جمع الأضداد، كيف يجتمع العدل والاستبداد. انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ لمحمود عبد الحليم (٦٢٢/٣)، نشر دار الدعوة، ط١، ٢٠٠٤م.

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح ورجاله ثقات. وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٢٠٦)، عن ابن عباس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

لسنا في حاجة أن نستورد أصولًا من الغرب أو من الشرق، عندنا ـ والحمد لله ـ ما يكفينا لإقامة العدل الإسلامي، والحكم الإسلامي الصالح، لو وقفنا عند حدود الإسلام. لا مانع من استيراد بعض الصيغ والآليات والضمانات، فهذه لا حرج فيها، فهي لا تؤثر على هوية الأمة.

ذكر لنا القرآن قصص الطغاة والجبارين في الأرض، وما أصابهم من عذاب الله ولعنته، وهو لم يذكر هذا عبثًا، فقد ذكر لنا فرعون وهامان وجنودهما، لماذا؟ ذكر لنا هذا حتى لا نقبل الجبروت والطغيان، ولا نرضى بتسليط الجلادين الذين يسوقون الشعوب كالغنم وراءهم، الإسلام يرفض هذا ويمقته، حتى إن القرآن يدين الجنود مع قادتهم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]. الجنود لماذا؟ لأنهم هم عدة الظالم وسوط عذابه.

وكذلك تجد الرسول الكريم لعن أعوان الظالم، وبرئ منهم، فهم ليسوا منه، وليس منهم، ولا يردون عليه الحوض[1].

ولما سُجن الإمام أحمد بن حنبل ـ إمام أهل السنة ـ في الفتنة المشهورة في خلق القرآن، سُجن ظلمًا، وأوذي وعُذِّب، فجاءه السجان،

(١) إشارة إلى حديث وصية النبي ﷺ، لكعب بن عجرة فقال: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء يا كعب!**». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «**أمراء يكونون بعدي، لا يهدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي. ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني، وأنا منهم، وسيردون على حوضي**». رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٢٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وســأله عن الأحاديث التي وردت في أعوان الظلمة: ما رأيك فيها؟ هل هي أحاديث صحيحة؟ قال: نعــم هي أحاديث صحيحة. قال: فما قولك فيَّ، هل أنا من أعوان الظلمة؟ قال: لا، إنما أعوان الظلمة مَن يطهو لك طعامك، ومن يغسل لك ثوبك، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم[١]!

جاء الإســلام يُريد أن تقــوم الحياة على العدل والشــورى لا على الجبروت والعلوِّ في الأرض. وهذا هو البعد السياسي.

الشعبة الرابعة: البعد الحضاري:

وهناك ـ بعد ذلك ـ الشــعبة الأخيرة، التي تتجه إلى الكون؛ لتعمر الأرض؛ لتقيم حضارة. فالإسلام جاء ليقيم حضارة متميزة تصل الأرض بالسماء، وتربط الدنيا بالآخرة، والعقل بالقلب، وتوفق بين مطالب الفرد ومصالح المجموع، حضارة تقيم علمًا وإيمانًا، تقيم إبداعًا ماديًّا بجانب الســمو الروحي والرقي الأخلاقي، لا كالحضارات التي تصلح الأرض وتفسد الإنسان، وتعمر الدنيا وتخرب الآخرة، بل تقيم التوازن والتكامل في الحياة.

جاء الإســلام ليقيم حضارة، ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالجانب العلمي، والجانب الاقتصادي، والجانب العسكري، والجانب الصحي، وكل جوانب الحياة التي تقيم حياة طيبة.

ولقد أقام المسلمون بالفعل حضارة شامخة متوازنة، مزجت الروح بالمادة، والإيمان بالعلم، والأخلاق بالقوة، وقد استنار العالم بضيائها

(١) سير السلف الصالحين لإســماعيل بن محمد الأصبهاني صـ ١٠٥٩، نشــر دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

QaradawiBooks.com

عدة قرون، كانت هي الحضارة الأولى، بل الحضارة الفذة في العالم، وكانت جامعاتها موئل الطلاب من أوربا وغيرها، ومنها اقتبست أوربا الفكر التجريبي، والمنهج التجريبي، وكانت اللغة العربية هي اللغة التي كُتبت بها شتى العلوم الطبيعية والرياضية، ولم تضِق بها كما يقال اليوم! كانت حضارة متكاملة، امتزج فيها الدين بالعلم والأدب والفن امتزاجًا مقبولًا.

كانت حضارة فيها عبادة وفيها مرح، فيها جد وفيها لهو، فيها دين وفيها دنيا، فالإسلام دين لا ينعزل عن الدنيا، ودنيا لا تنقطع عن الدين.

مِن الناس مَن يظن أنه حين يُقام حكم الإسلام وتقام حياة إسلامية، فإن هذه الحياة ليس فيها مجال لترويح أو ترفيه، وهذا خطأ، فلا بد من ترويح وترفيه، ولكن أي نوع من الترويح، وأي لون من الترفيه؟ ليس الترويح الذي يجرِّئ الناس على الحرام، ويشيع الفاحشة، ويدغدغ الغرائز، ويثير الشباب، ويهيج الشهوات، ليس هذا هو الترفيه، وليس هذا هو الترويح. إنما هو الترويح المعقول والمقبول؛ فإن القلوب إذا أكرهت عميت، وإن القلوب لتمَلّ كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة. كما قال علي رضي الله عنه [1]، وقد قال النبي ﷺ لحنظلة حين ظنَّ أن الواجب أن يكون وقته كله للعبادة والطاعة والبعد عن متاع الدنيا: «**يا حنظلة، ساعة وساعة**»[2].

جاء الإسلام داعيًا للاستمتاع بطيبات الحياة: طيبات المأكل والمشرب، طيبات الملبس والمركب، طيبات الزينة والتجمل، طيبات

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٢٩/٢).
(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، عن حنظلة الكاتب.

QaradawiBooks.com

اللهو والترفيه[1]، كل هذا جاء به الإسلام في توازن واتساق كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

إسلامنا هو المنقذ:

هذه هي الملامح العامة للإسلام الذي نؤمن به وندعو إليه، لسنا ندعو الناس إلى متاهة كما يزعم العلمانيون.

نحن ندعو إلى إسلام واضح الحدود، بيِّن الأصول، ثابت الجذور، باسق الفروع، هذا هو الإسلام الذي ندعو إليه، وهذا الإسلام هو وحده القادر على أن ينقذ هذه الأمة مما تتخبط فيه من أزمات اقتصادية، وأزمات فكرية، وأزمات سياسية، وأزمات اجتماعية، وأزمات أخلاقية، كل ما نشكو منه من التمزق والفساد والخلل في شتى النواحي لا ينقذنا منه إلا الإسلام، إلا الرجعة إلى هذا الدين، بغير هذا سنظل نجرب تجارب، وندور كما يدور الحمار في الرحى، أو الثور في الساقية معصوب العينين، يسير ويسير، والمكان الذي انتهى إليه هو الذي ابتدأ منه.

لا نجاة لنا إلا بالإسلام، ولا مخرج لنا مما نحن فيه إلا بالإسلام، الإسلام الصحيح، الإسلام المتكامل المتوازن، إسلام القرآن والسنة، إسلام الصحابة، ومَن تبعهم بإحسان، الإسلام بلا زيادة عليه ولا انتقاص منه، ولا تشويه لتعاليمه، ولا إخلال بنِسَبه.

(١) انظر كتابنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي صـ٦٥ـ ٧٩، توفير الحياة الطيبة للإنسان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، وملامح المجتمع المسلم الذي ننشده صـ٢٣٩ ـ ٣١٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

الإســـلام الذي يتجه إلى النفس فيصلحها بالإيمان والتزكية، ويتجه إلى المجتمع فيصلحه بالأخلاق والتكافل، ويتَّجه إلى الحكم فيصلحه بالعدل والشورى، ويتجه إلى الكون فيصلحه بالعمارة وإقامة الحضارة.

هذا هو الإسلام الذي نؤمن به وندعو إليه، والذي نعتقد أننا لن ننال رضا الله في الآخرة، ولن ننال السعادة في الدنيا بغير التمسك به، وسنظل نتمسك به وندعو إليه ما حيينا، نعيش له، ونموت عليه، مهما أصابنا في ســبيله، ونعتقد أن الغــد لهذا الإســلام، وأن المســتقبل لحضارة هذا الإسلام، وأن كل الدعوات الدخيلة المستوردة من الشرق أو المستوردة من الغرب سترحل خائبة مدحورة، وسينتصر دين الله، وسينجز الله وعده: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ [النور: ٥٥].

كل ما نريــده أن يكون منــا أو نكون نحــن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، الموعودين في هــذه الآية، وأن يعبدوا الله ولا يشــركوا به شــيئًا، وينتظــروا بعد ذلــك البشــائر، وينتظــروا بعد ذلــك نصر الله، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأصول العشرون لبيان الملامح الأساسية للإسلام وموقفه من قضايا الحياة

منذ نحو ربع قرن أو يزيد، دعيت إلى إلقاء محاضرة في جامعة الخرطوم بالسودان الشقيق، حول «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، شهدها جمهور غفير من أبناء الجامعة ومن غيرهم. وكان للمحاضرة صدى طيب، وقبول حسن، وقد طُرحتْ أسئلة ـ كالعادة ـ بعد المحاضرة أجبتُ عنها.

ولا أنسى سؤالًا ـ أو اعتراضًا في الحقيقة ـ طرحه أحد أتباع جون قرنق، فقد جاء بقصاصات نقلها من بعض الكتب القديمة الصفراء، قالها بعض العلماء المتأخرين فيها ما يعتبره إساءة إلى غير المسلمين، وقال لي: هل الإسلام ما تتضمنه هذه الكتب؟ أو ما تقوله فضيلتك؟ وما الذي سيحكمنا بالفعل: ما قاله الفقهاء القدامى أم اجتهاداتكم معشر العلماء المعاصرين؟!

وقلتُ له: إن ما ذكرتُه في المحاضرة لم يكن مجرد دعاوٍ أو آراء شخصية، بل أسسته على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وقواعد فقهية، ومقاصد شرعية، ومواقف علمية للخلفاء الراشدين، ونقول علمية عن علماء راسخين، وهذا هو الذي نلتزم به، ونحتكم إليه، وندعو إلى تطبيقه، ونعامل الناس على أساسه.

وفي منتصف الثمانينيات عُقدت ندوة أو مناظرة تاريخية مشهورة في القاهرة ـ في دار الحكمة مقر نقابة الأطباء ـ بين الإسلاميين والعلمانيين، شاركت فيها مع شيخنا محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومَثَّل العلمانيين فيها الدكتور فؤاد زكريا، وسانده بعض الحضور.

وقد دُحضت حجة العلمانيين، وهُزموا فكريًّا هزيمة ساحقة، أمام الجمهور الحاشد، وتحدثت عن ذلك صحف القاهرة ومجلاتها المختلفة، وحاول الدكتور زكريا أن يبرر ذلك بطريقة إلقائي التي أثرت في الجماهير، والواقع أن الذي أثَّر في الناس إنما هو قوة الحجة لا قوة الصوت ولا طريقة الإلقاء.

والذي يهمني من هذه الندوة ما قاله العلمانيون فيها، وقد قالوه قبلها وردَّدوه بعدها: أن الإسلام الذي يدعو إليه الإسلاميون غامض غير بيِّن، وله أكثر من وجه، وأكثر من تفسير، وأكثر من صورة، ولا ندري أيّ إسلام منها هو الذي نرجع له، ونحتكم إليه، وما موقفه من القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية المطروحة في الساحة العربية اليوم؟ إنكم ـ أيها الإسلاميون ـ تدعوننا إلى شيء لا نعرف رأسه من رجليه!

وقد رأيت أن أردَّ على ذلك ببيان الملامح الأساسية للإسلام محددة مرقَّمة، تجيب عن كل التساؤلات أو جلها في القضايا المهمة، التي يختلف الناس في شأنها بين يمين ويسار، ومحافظين وأحرار، وغلاة ومقصرين.

الأصول العشرون:

وبهذا نتبين أن الإسلام الذي نؤمن به وندعو إليه: ليس مادة هُلامية، يشكِّلها مَن يشاء كما يشاء، بل هو «رسالة حضارية متكاملة»، أو كما يعبرون اليوم «مشروع حضاري متكامل» شرحه دعاته، وبيَّنوا معالمه،

QaradawiBooks.com

ووضَّحوا قواعده، توضيحًا يزيل كل غبش أو غموض، فلا مجال لقول قائل: إنكم تدعوننا إلى ضبابية أو ظلامية، لا يعرف أصلها ولا فصلها. بل إن إسلامنا الذي نتبناه بيِّن واضح، كالشمس في رابعة النهار، وأعني به الإسلام الذي يدعو إليه تيار «الوسطية الإسلامية» الذي أتكلم باسمه، وأعتبره الناطق الصادق باسم الإسلام[١].

وأنا أذكر هنا عشرين أصلًا[٢]، أراها تلقي الضوء على هذا الإسلام، كما نراه ونتصوَّره مستمَدًّا من مصادره الأصيلة، ومنابعه الصافية.

الإيمان بالله ولقائه ورسالاته:

١ ـ إسلام يقوم أول ما يقوم على الإيمان، الذي هو سبيل فلاح الفرد، وسعادة المجتمع. الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

فهذا الكون ـ ونحن جزء منه ـ مخلوق، فهو ليس أزليًّا، كما أنه ليس أبديًّا، وليس وهمًا، بل هو حقيقة، خلقه ربٌّ عليمٌ حكيم، أحسن خلقه، وأتقن صنعه. وهو لم يخلق باطلًا ولا عبثًا ولا لعبًا، بل خلقه لحكمة: أن يبتلي الله الناس فيه في هذه الدار، ليعدهم للخلود في دار أخرى، تجزى فيها كل نفس ما كسبت، وتخلد فيما عملت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

---

(١) انظر كتابنا: الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه صـ٢٧ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) ذكر الإمام الشهيد حسن البنا لفهم الإسلام عشرين أصلًا، غير هذه الأصول التي ذكرناها هنا؛ لأنه كان يخاطب فئات غير التي نخاطبها نحن اليوم. فقد كان يخاطب بأصوله الجماعات الدينية القائمة في عصره، والتي لا تزال قائمة إلى اليوم، فكان تركيزه على الحدود التي يفهم في إطارها الإسلام، ونحن نخاطب جماعات أخرى معظمها من العِلمانيين والمستغربين، والمبهورين بحضارة الغرب وفلسفاته، ولكل مقام مقال.

QaradawiBooks.com

دلَّت على هذا الخالق العظيمِ الفطرُ السليمة، والعقولُ الرشيدة، والكون الكبير، كما دلَّ على ذلك إرساله تعالى رسله مبشرين منذرين، وتأييدهم بالآيات البينات.

وأعظم ما يتجلى هذا الإيمان في عقيدة التوحيد، الذي بعث به كل رسله، وأكدها رسول الإسلام كل التأكيد، وحقيقته: ألا تبغي غير الله ربًّا، ولا تتخذ غير الله وليًّا، ولا تبتغي غير الله حكمًا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ولا يصح هذا الإيمان إلا بالتصديق بكلِّ كتاب أُنزل، وبكلِّ نبي أُرسل، وبهذا كان الإسلام مصدِّقًا ومتمِّمًا، وبانيًا لا هادمًا، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

كما لا يتم هذا الإيمان إلا بالنزول على حكم الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والإيمان الصادق لا يتم إلا بعمل الصالحات؛ ولهذا يجب أن يصبغ الإيمان حياة الفرد، وحياة الجماعة، وأن تنبثق منه التشريعات والأنظمة، وتنطلق في ضوئه التربية والثقافة والفنون والآداب، وتهتدي بهديه حركة الحياة كلها، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فالمجتمع المسلم ليس مجتمعًا سائبًا، ولا مجتمعًا علمانيًّا «لا دينيًّا»، بل هو مجتمع ملتزم بعقيدة يعيش لها، ويموت عليها: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ لهذا يرفض الردَّة، ويعاقب عليها، حفاظًا على هويته.

QaradawiBooks.com

وهو كما يحافظ على إيمان المسلمين، يحترم إيمان الآخرين من أهل الأديان الكتابية، ويتركهم وما يدينون، ولا يجادلهم إلا بالتي هي أحسن.

تكريم الإنسان وتعريفه بواجباته وحقوقه:

٢ ـ إسلام يقوم على تكريم الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وكرَّمه أعظم تكريم، وجعله في الأرض خليفة، وسخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وحمَّله أمانة التكاليف، ومنحه من المواهب والقدرات الفطرية ما يعينه على أداء رسالته: من العقل الذي به يفكر، والإرادة التي بها يُرجِّح، والقدرة التي بها يُنفِّذ، وأنزل له الكتب، وبعث له الرسل مبشِّرين ومنذرين، ليهدوه إلى ربِّه، ويُعرِّفوه بمنهجه الذي يرضاه، وحذَّره من الشيطان الذي ليس له من سلطان عليه إلا الوسوسة والإغراء، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فرض الإسلام على الإنسان واجبات يؤديها:

أولها: واجبه نحو ربِّه الذي خلقه فسوَّاه فعدَله، وذلك بأن يعبده وحده لا شريك له، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة تشمل شعائر العبادات والتقيد بالحلال والحرام، كما تشمل كل عمل ينفع الناس، ولو كان إماطة الأذى عن الطريق، أو كلمة طيبة. بل تشمل الاستمتاع بالمباحات إذا كان وراءها نية صالحة.

وثانيها: واجبه نحو نفسه، وأسرته، أو مجتمعه، وأمته، والبشرية جمعاء، فيزكي نفسه، ويرعى أهله، ويصلح مجتمعه، ويجاهد لحماية أمته، والارتقاء بها، ويعمل على هداية الناس إلى الله ما استطاع، ودرء الشر والفساد عنهم ما استطاع.

QaradawiBooks.com

وثالثها: واجبه نحو الكون والحياة من حوله، بأن يعمر الأرض، ويحيي مواتها، ويملأها بالخير والجمال، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وبهذا يقوم بحق الخلافة التي رُشِّح لها، وغبطته عليها الملائكة.

وفي مقابل هذه الواجبات قرَّر الإسلام له حقوقًا يجب أن ترعى: حقه في أن يختار دينه بلا ضغط ولا إكراه، وأن يفكر بلا حجْر ولا إعنات، وأن يعبر عن رأيه بلا خوف ولا إرهاب، وأن يتعلم ما وسعه ذكاؤه، وأن تتاح له فرص متكافئة مع الآخرين، وأن يكون له حرية التنقل واختيار العمل، واختيار الحاكم ونصحه ومحاسبته، وحق الكفاية من العيش، والأمن من الخوف، بحيث يعيش آمنًا على حياته وعرضه وماله وأهله، وهذه كلها فريضة وضرورة للإنسان في نظر الإسلام.

مخاطبة العقل والانتفاع به:

٣ ـ إسلام يخاطب العقل، ويعتمد عليه في فهم الدين، وعمارة الدنيا، وهو يدعو إلى العلم والتفوق فيه، والأخذ بأحدث أساليبه، والنزول على حكمه في كل المجالات، ويعتبر التفكير عبادة، وطلب كل علم تحتاج إليه الأمة فريضة، والتخلف عن ركب العلم المعاصر منكرًا وجريمة، وأن التفوق في ميادينه النظرية والتطبيقية، المدنية والحربية، واجب ديني، وكل وسيلة تؤدي إلى هذا الواجب، فاتباعها واجب. وهو لا يرى أي تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، فالعقل ـ كما قرر علماؤنا ـ هو أساس النقل؛ إذ به ثبت وجود الله تعالى، وثبتت به النبوة، كما لا يرى أي تعارض بين حقائق العلم، وقواطع الإسلام، فلا مجال للصراع بينهما، كما حدث في ظل أديان أخرى، فالدين عندنا علم، والعلم عندنا دين.

QaradawiBooks.com

وهو يعتز بالتراث الإسلامي، ويستهدي به، ويفرق فيه بين المستوى الإلهـــي المعصوم الثابـــت، وهو القليـــل، فيلتمس فيه الهـــدى والنور؛ والمستوى البشري المتجدِّد ـ وهو الأكثر ـ فيستهدي به ويتخير منه، فهو منارة تهدي، وليس قيدًا يعُوق.

وهو ينفتح على تراث العلم والفكر في العالم كله، ويلتمس الحكمة من أيِّ وعاء خرجت، وينتفع بتجارب الأمم قديمًا وحديثًا، فيأخذ منها أفضل ما فيها دون تعصب لرأي قديم، ولا عبودية لفكر جديد، لا ينقطع عن الماضي، ولا ينعزل عن الحاضر، ولا يغفل عن المستقبل. يأخذ من الديمقراطية أحسن ما انتهت إليه من الصيغ والضمانات، لحماية حقوق الشعوب في مواجهة الحاكمين، ويأخذ من الاشتراكية أمثل ما انتهت إليه من الصيغ والضمانـــات، لحماية حقوق الفئـــات المطحونة في مواجهة المالكين والقادرين، ويســـتفيد مـــن كل الآراء والنظريـــات، وإن كانت فلسفتها الأساسية مرفوضة عنده، كفلسفة فرويد في النفس، وماركس في الاقتصاد، ودور كايم في الاجتماع، والحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها، فهو أحق الناس بها.

الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد:

٤ ـ إســـلام يدعو إلى الاجتهاد والتجديد، ويقاوم الجمود والتقليد، ويؤمن بمواكبة التطور العلمي، ومواصلة التقدم المادي، وأن الشـــريعة لا تضيق بجديد، ولا تعجز عن إيجاد حل لأي مشكلة، وإنما العجز في عقول المسلمين، أو في إرادتهم، وأن الاجتهاد أصبح في عصرنا فريضة وضرورة؛ فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع؛ وأن بابه مفتوح لأهله بشرطه، سواء كان اجتهادًا ترجيحيًّا انتقائيًّا، أم كان اجتهادًا إبداعيًّا

إنشائيًّا، فرديًّا أم جماعيًّا، جزئيًّا أم كليًّا، ولا يملك أحد إغلاقه، وقد فتحه رسول الله ﷺ، وأن المجتهد مأجور على اجتهاده، وإن أخطأ فيه، وأن علينا أن نهيئ المناخ العلمي لظهور المجتهدين المرجوين، على مستوى الإسلام، وعلى مستوى العصر، جامعين بين القديم النافع والجديد الصالح، مقدرين في اجتهادنا ظروف الناس، وضرورات الواقع، وتغيرات العصر، وما عمت به البلوى، مستفيدين من الثروة الفقهية الهائلة، التي خلَّفها أئمتنا وفقهاؤنا على تعدُّد مدارسهم ومشاربهم، منذ عصر الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من أئمة المذاهب، ومن تلاهم، ممن اتصف بالتجديد أو اتسم بالتقليد، ممن له مذهب باقٍ أو منقرض، أو ليس له مذهب، نتخيَّر من كل ذلك ما هو أصح دليلًا، وأهدى سبيلًا، وأليق بتحقيق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق، واضعين نصب أعيينا ما قرره علماؤنا المحققون: أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال. وأن الشريعة إنما شرعت لمصالح العباد في المعاش والمعاد، وأنها قامت على حفظ الأديان والأنفس والعقول والأعراض والأنساب والأموال.

الدعوة إلى الوسطية والتوازن:

٥ ـ إسلام يتسم بالوسطية في كل شيء، ويجعلها من خصائص أمته الأساسية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهو يمثل التوازن الإيجابي في كل المجالات، اعتقادية وعملية، مادية ومعنوية، فهو يوازن بين الوحي الإلهي والعقل الإنساني، فلكل منهما مجاله. وهو يعمل ـ في حياة الفرد ـ على الموازنة بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب، وبين الدنيا والآخرة، وبين الحقوق

QaradawiBooks.com

والواجبات. ومن ناحية أخرى، يقيم الموازين القسط بين الفرد والمجتمع، فلا يعطي الفرد من الحقوق والحريات، حتى يتضخم، على حساب مصلحة المجموع، كما فعلت الرأسمالية، ولا يعطي المجتمع من الصلاحيات والسلطات، ما يجعله يطغى ويضغط على الفرد، حتى يَضْمُر وينكمش، وتذبل حوافزه ومواهبه وقدراته، كما فعلت الشيوعية والاشتراكيات المتطرفة، فلا يقر نظرية الرأسمالية في تضخيم الحريات الفردية، على حساب العدل في المجتمع، وبخاصة الفئات الضعيفة فيه، ولا يقر نظرية الماركسية وربائبها، في خنق الديمقراطية السياسية، باسم الديمقراطية الاجتماعية، وتحت الشعار الخادع: لا حرية لأعداء الحرية!

بل يعطي الفرد حقه، والمجتمع حقه، بلا طغيان ولا إخسار، كما نظمت ذلك أحكام الشريعة وتوجيهاتها.

وبهذا يحافظ على حرية الوطن، كما يرعى حرية المواطن، وهي حرية الفكر لا حرية الكفر، وحرية الضمير، لا حرية الشهوة، وحرية الرأي، لا حرية التشهير، وحرية الحقوق، لا حرية الفسوق.

وهو يؤمن هنا بأن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، فلا يجوز لأحد أن يستذل أحدًا، ولا أن يتخذ بعض الناس بعضًا أربابًا من دون الله. فالحرية الحقيقية ثمرة التوحيد الحقيقي. ونتيجة لازمة لمعنى: «لا إله إلا الله».

الواقعية المتوازنة التي تهتم بالإنسان كله:

٦ ـ إسلام يتميز بالواقعية، التي هي إحدى خصائصه العامة، فهو لا يحلِّق في أجواء المثالية المجنحة، ولا يعامل الناس على أنهم ملائكة

QaradawiBooks.com

أولو أجنحة، بل بشـــر يصيبون ويخطئون، ويستقيمون وينحرفون؛ وهو يعترف بضعف البشر، ووجود الخطأ والشـــر، ويقول: «**ساعة وساعة**»[١]. ولهذا رغَّب ورهَّب، وأوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشرع العقوبـــات، وفتح بـــاب التوبة، ووضـــع للضـــرورات أحكامها، وقدر لأصحاب الأعذار أعذارهم، فشـــرع الرخص والتخفيفات والاستثناءات في أحوال شـــتى؛ منها الخطأ، والنســـيان، والإكراه، وأجاز النزول إلى الواقع الأدنى، عند تعذر المثل الأعلى.

ومن واقعيته: أنه يكرِّم الإنسان ويسمو به، ويعترف بفطرته وكرامته، لا يهبط به إلى درك الحيـــوان، ولا يعلو به إلى درجـــة التأليه، يعترف بأشـــواقه الصاعدة وغرائزه الهابطـــة، يعترف به روحًا وجســـمًا، وعقلًا وعاطفة، ذكرًا وأنثى، وفـــردًا ومجتمعًا، ويهيئ له فرصًـــا للهو المباح، والترفيه البريء، كما يهيئ له المناخ الإيجابي ليحيا حياة إســـلامية، بلا ضغط ولا تنازلات.

وهو لهذا، يحافظ على الصحة الجسمية والنفسية والعقلية للمسلم، ويخاطب كل إنســـان: «**إن لجســـدك عليك حقًّا**»[٢]. ومـــن حقه عليه أن يطعمه إذا جاع، وأن يريحه إذا تعـــب، وأن يداويه إذا مرض، وهو يقاوم المسكرات والمخدرات، وســـائر الســـموم المضرة بالأجسام والنفوس والعقول، ويرحب بالتربية البدنية، ويتخذها وسيلة لا غاية.

ويفرض الرعاية الصحية الشاملة، وييسر لكل عامل حقه في الراحة، ولكل مريض حقه في العلاج، ويعلم الناس أن الله ما أنزل داء إلا أنزل له

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٩.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

شفاء[١]، وهو يهتم بالوقاية مثل اهتمامه بالعلاج، كما يؤكد أن: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[٢].

تكريم المرأة وتحريرها من ظلم الجاهليات:

٧ ـ إسلام يكرِّم المرأة، ويعتبرها إنسانًا مكلَّفًا تكليفًا كاملًا، له حقوقه، وعليه واجباته، مجزيًّا على عمله في الدنيا والآخرة، فليست خصمًا للرجل، ولا هو عدو لها بل هو منها، وهي منه، يكمِّلها وتكمِّله، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. والإسلام يرعاها بنتًا، وزوجة، وأمًّا، وعضوًا في الأسرة، وفي المجتمع، ويفسح لها المجال لتشارك في العبادة، وفي التعلم، وفي العمل، وخصوصًا إذا احتاجت إليه، أو احتاجت إليه أسرتها، أو احتاج إليه المجتمع. مع مراعاة ما تتميز به باعتبارها أنثى وزوجة وأمًّا، تحتاج إلى توفير ضمانات خاصة لحمايتها ورعايتها، حتى من الزوج إن ظلم، والأب إن فرَّط، والابن إن عقَّ وأساء، بشرط ألا يتعارض عملها مع واجبها في رعاية البيت والولد، كما يعطيها حقها في الإسهام مع الرجل في أعباء الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الشر والفساد، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ويفسح لها مكانًا، لتشارك في قضايا الأمة السياسية والاجتماعية والثقافية، ناخبة، ومرشَّحة، لكل ما تحسنه من الأعمال ـ فيما عدا منصب الخلافة أو الولاية العامة على الدولة ـ فهي نصف المجتمع، وأحد جناحيه، و«**إنما النساء شقائق الرجال**»[٣]. وهو ـ انطلاقًا من احترام

(١) رواه البخاري في الطب (٥٦٧٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٣٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

كرامة المرأة وإنسانيتها ـ يأبى أن تُتَّخذ أداة للإثارة واللهو، والاستمتاع الرخيص، ويوجب عليها ـ في ملاقاتها للرجال الأجانب عنها ـ الاحتشام والتصون، والتزام الأدب والوقار، في اللباس والتجمل، والمشي، والحركة والكلام والنظر، حتى تُعرف المرأة بجديّتها، فلا تؤذَى، وحتى لا يطمع فيها الذي في قلبه مرض من الرجال.

الأسرة أساس المجتمع:

٨ ـ إسلام يرى أن الأسرة أساس المجتمع، وأن الزواج هو أساس الأسرة؛ لذا يرفض الرهبانية ويحث على الزواج، بل يوجبه على مَن يتوق إليه، ويخاف على نفسه العنت أو الانحراف، إذا كان يقدر عليه. كما يوجب على المجتمع أن ييسر أسبابه، ويزيل العوائق الاقتصادية من طريقه، بالتربية وبالتشريع معًا، ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]. ويجعل الاعتبار الأول في الاختيار للدين والخُلُق، ويرفض التقاليد الزائفة، التي تصعِّبه وتؤخِّره، من غلاء المهور، ومبالغة في الهدايا والولائم وأحفال الأعراس، وإسراف في التأثيث واللباس والزينة، ومكاثرة يبغضها الله ورسوله في سائر النفقات.

وهو ـ إذ ييسر أسباب الحلال ـ يسد أبواب الحرام، والمثيرات إليه، من الخلاعة والتبرُّج، والكلمة والصورة، والقصة، والدراما، وغيرها، ولا سيما في أدوات الإعلام، التي تكاد تدخل كل بيت، وتصل إلى كل عين وأذن.

وهو يقيم العلاقة الأسرية بين الزوجين على السكون والمودة والرحمة بينهما، وعلى تبادل الحقوق والواجبات والمعاشرة بالمعروف، مع إقرار حق الزوج في القوامة على الأسرة، ويجيز الطلاق عند تعذر

QaradawiBooks.com

الوفاق، كعمليـــة جراحية لا بـــد منها، بعـــد إخفاق وســـائل الإصلاح والتحكيم، ويبيح الزواج بامرأة أخرى، لمن يحتـــاج إليه، ويقدر عليه، ويثق من نفسه بالعدل، إذا قامت الدلائل على ذلك.

ويقيم العلاقـــة بين الأبوين والأولاد على وجـــوب الرعاية الكاملة، ماديًّا وعاطفيًّا وأدبيًّا، من جانب الأبوة والأمومة، ووجوب البر والإحسان من جانب البنوة.

ووجوب الرعاية من المجتمع والدولة للأمومة والطفولة، وخصوصًا الطفولة اليتيمة والمشـــردة، حتى تميز الفقه الإســـلامي ببـــاب لرعاية «اللقيط».

ويوسع الإسلام الأســـرة، لتشـــمل الأرحام وأولي القربى، فصلتهم فريضة، وقطيعتهم كبيرة في دين الله، وهو يدعم روابط الأســـرة بحقوق النفقة والإرث والعاقلة.

الاهتمام بالتربية والتعليم والإعلام:

٩ ـ إســـلام يهتم بالتربية والتعليم والتوجيه، مثـــل اهتمامه بالقانون والتشـــريع، بل قبـــل اهتمامه بالقانـــون والتشـــريع؛ فالقوانين لا تصنع المجتمعات، إنما تصنعها التربية المستمرة، والتعليم الواعي، والتوجيه العميق، وأساس كل نهضة وتغيير، هو بناء الإنسان ذي الفكر والضمير، ذي الإيمان والخلق، وهذا الإنسان الصالح هو أساس المجتمع الصالح.

ولهذا يجب توجيه أبلغ العناية إلى المؤسسات التربوية من مدرِّسة الحضانة إلى الجامعـــة، بحيث تعلِّم الإيمان إلى جـــوار العلم، والخُلُق بجانب المهارة.

QaradawiBooks.com

ومن أهم معالم التربية المنشودة للأجيال المسلمة: الالتزام بسلامة العقيدة من الخرافة، ونقاء التوحيد من الشرك، وقوة اليقين بالآخرة، واستقامة الأخلاق: من صدق القول، وإتقان العمل، ورعاية الأمانة والعهد، والصدع بالحق، ومعاداة الباطل، والنصيحة في الدين، والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله، وتغيير المنكر باليد وباللسان وبالقلب، حسب الاستطاعة، ومقاومة الظلم والطغيان، وعدم الركون إلى الظالمين، وإن كان معهم سلطان فرعون، ومال قارون.

ومن المهم هنا: تربية الشخصية المؤمنة تربية متكاملة، ماديًّا ومعنويًّا: روحيًّا بالعبادة، وخُلُقيًّا بالفضيلة، وعقليًّا بالثقافة، وبدنيًّا بالرياضة، وعسكريًّا بالخشونة، وسياسيًّا بالوعي، واجتماعيًّا بالمشاركة في خدمة المجتمع.

كما يجب في التربية العقلية العناية بالفهم قبل الحفظ، وبالتجديد قبل التقليد، وبالحوار قبل التلقين.

كما يجب توجيه الاهتمام إلى المؤسسات الإعلامية مقروءة ومسموعة ومرئية، فهي التي توجه الأفكار والأذواق والميول، وتقود الرأي العام إلى ما تتبناه، فيجب تنقيتها مما يجافي العقيدة، أو يلوث الفكر، أو ينحرف بالسلوك، وأن يكون توجهها لخدمة الأهداف الكبرى للجماعة، من خلال برامج مدروسة منتقاة، تبتعد عن الإثارة والتضليل، محورها: الصدق في الخبر، والرشد في التوجيه، والاعتدال في الترفيه، والالتزام بالقيم، والتكامل والتنسيق بين البرامج والأجهزة والمؤسسات بعضها وبعض.

ومن أعظم هذه المؤسسات: المسجد، فهو جامع للعبادة وجامعة للعلم، ومنتدى للتعارف، ومنبر للتوجيه الرشيد، فيجب العناية به مبنًى

QaradawiBooks.com

ومعنى، والارتقاء برسالته التربوية والدعوية، حتى يكون على مستوى الإسلام الذي يمثله، والعصر الذي يعيش فيه.

غير مرخصة للطباعة

تقوية أواصر الإخاء بين الناس:

١٠ ـ إسلام يقيم المجتمع على أواصر الإخاء والوحدة بين أبنائه، فلا مكان فيه لصراع الأجناس، ولا لصراع الأديان، ولا لصراع الطبقات، ولا لصراع المذاهب، فالناس كلهم إخوة، تجمع بينهم العبودية لله، والبنوة لآدم، «**إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد**»[١]. واختلافهم واقع بمشيئة الله تعالى وحكمته، وهو يفصل بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون.

فهو إسلام يحترم غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ويعتبرهم في ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة المسلمين، أي في عهدهم وضمانهم، وهذا تعبير ديني، يعني لدى المسلم: أنه يتعبد الله تعالى، بالمحافظة عليهم، والدفاع عنهم، والبر لهم، والإقساط إليهم. فإن كان التعبير يؤذيهم، فليُترك حرصًا على شعورهم، والعبرة بالمسميات لا الأسماء. وقد غيَّر عمر بن الخطاب ما هو أهم من ذلك، حيث طلب إليه نصارى بني تغلب من العرب: أنهم يأنفون من كلمة «الجزية»، وأنهم يريدون أن يدفعوا كل ما يُطلب منهم وأكثر باسم «الصدقة». فقبل منهم عمر ذلك، وقال: هؤلاء القوم حمقى، رضوا المعنى، وأبَوْا الاسم[٢]! وهو يكفل لهم حرية الاعتقاد والتعبد، ويحافظ على دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، كما يحافظ على المسلمين سواء بسواء، ويحميهم من الظلم في الداخل، كما يحميهم من العدوان من الخارج، ويجعل لهم من الحقوق والحرمات في

(١) سبق تخريجه صـ٤٤، وفيه: «لا فضل لعربي على عجمي».

(٢) الحاوي للماوردي (٣٤٦/١٤)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الجملة، ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، إلا فيما استُثني، مما له علاقة بالتميز الديني، ويضع من الضمانات المعنوية والمادية والقانونية، ما يكفل هذه الحقوق، ويشيع في المسلمين روح التسامح الذي لا يدخل في نطاق القانون، وإنما يدخل في نطاق الأخلاق والقيم، التي تتميز بها الأمم بعضها عن بعض، والمسلمون لهم من ذلك النصيب الأوفى[1].

لا كهانة في الإسلام:

١١ ـ إسلام لا يعرف الكهانة، ولا توجد فيه طبقة كهنوتية تحتكر الدين، وتتحكم في الضمائر، وتغلق على الناس باب الله، إلا عن طريقها، عنها تصدر قرارات الحرمان، أو صكوك الغفران، إنما كل الناس في الإسلام رجال لدينهم، ولا يحتاج المرء فيه إلى واسطة بينه وبين ربه، فهو أقرب إليه من حبل الوريد، الأرض كلها له مسجد، فحيثما أدركته الصلاة صلَّى، دون حاجة إلى وسيط أو سمسار، حتى العاصي المسرف على نفسه ليس بينه وبين الله حجاب، يدعوه ويستغفره ويتوب إليه متى يشاء، ولا يُلزَم باعتراف أمام كاهن أو كشف باطن حاله لبشر، كائنًا من كان: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وعلماء الدين ليسوا إلا خبراء في اختصاصهم، يُرجَع إليهم كما يُرجَع إلى كل ذي علم في علمه، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ومن حق كل مسلم ـ إذا شاء ـ أن يصبح عالِمًا دينيًّا، بالدراسة والتخصص، لا بالوراثة، ولا باللقب، ولا بالزي، ولا احتكار في هذا ولا تحجير.

---

(١) انظر كتابنا: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي صـ ١٧ ـ ٣٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

فالإسلام يرفض التقسيم المستورد للناس والمؤسسات إلى ما هو ديني، وما هو غير ديني؛ فلا انقسام للناس ولا للتعليم ولا للقوانين ولا للمؤسسات، فكلها يجب أن تكون في خدمة الإسلام.

حكومة العدل والشورى الملزِمة:

١٢ ـ إسلام يؤكد حق الأمة في اختيار حكومتها، القائمة على العدل والمساواة والشورى الملزمة، فلا يفرض عليها حاكم يقودها، رغم أنفها، بل يعتبر الحكام أجراء عندها، أو وكلاء عنها، لها حق مراقبتهم ومحاسبتهم، كما عليها تقديم النصح والعون لهم، والطاعة في المعروف، فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ومن اعوجَّ وانحرف، وجب أن يُقوَّم بالنصح والإرشاد، وإلا فالعزل والإبعاد. والدولة أو الحكومة بهذا ـ وإن كانت «إسلامية» ـ ليست دولة أو حكومة «دينية»، بالمعنى الذي عرفه الغرب في العصور الوسطى، فهي دولة فكرة ورسالة لا دولة عنصر وأرض. دولة تقوم على البيعة والشورى والنصيحة والعدل، وتحتكم إلى دستور أو قانون، لم تضعه هي، ولا تملك تغييره، بل هو شرع ربها، وليس قوامها «رجال الدين» بل كل قوي أمين، حفيظ عليم، من الذين إذا مكَّنهم الله في الأرض، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

هذا الإسلام يرحب بكل ما كسبته البشرية، ووصلت إليه من خلال صراعها مع الطغاة والمستبدين، من صيغ وصور تطبيقية، تضمن حقوق الشعوب في مواجهة الحكام، وحرية الضعفاء أمام الأقوياء، من دساتير تفصل بين السلطات، وتحدِّد العلاقات، وبرلمانات منتخبة، وقضاء مستقل، وصحافة حرة، ومنابر حرة، وأحزاب معارضة، إلى غير ذلك،

QaradawiBooks.com

مما يتفق مع روح الإسلام ومقاصده الكلية، وإن لم ترد فيه كله نصوص مباشرة جزئية، فلا غرو أن يعمل بمبدأ «المصلحة المرسلة»، و«سد الذرائع»، وقاعدة: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

المحافظة على المال وتنميته:

١٣ ـ إسلام يحافظ على المال ويعتبره إحدى الضروريات الخمس أو الست التي جاءت الشريعة للمحافظة عليها: (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والعِرض). ويرى أنه قوام الناس، وعصب الحياة، وبغيره لا تتحقق عمارة الدنيا، ولا نصرة الدين، وهو نعمة يجب أن تشكر، وأمانة يجب أن ترعى، كما أنه اختبار وفتنة، ليبلو الله الناس فيما آتاهم، ولهذا يلزم كسبه وتنميته بالطرق المشروعة، وأداء الحقوق الواجبة فيه، والمحافظة عليه من السرف والترف والإهمال، وبخاصة المال العام، الذي له في الإسلام حرمة عظيمة، كحرمة مال اليتيم، وهو يحترم الملكية الخاصة، لكن يفرض عليها قيودًا وتكاليف شتى، ويقاوم نزعتها إلى السيطرة والاحتكار، ويقودها بالتشريع والتوجيه لخدمة المصلحة الاجتماعية، كما يعمل بكلِّ قوة للتنمية الاقتصادية العامة للأمة، بحيث تستغل مواردها المادية، وتجند طاقاتها البشرية، وتتكامل فيما بينها ـ عربيًّا وإسلاميًّا ـ لتكتفي اكتفاءً ذاتيًّا، وتنتج ما تحتاج إليه في مجالات الزراعة والصناعة والخدمات، ولا تظل عالة على غيرها، وخصوصًا في قوتها الضروري واليومي، وسلاحها الذي تذود به عن أرضها وعِرضها ومقومات وجودها.

والإسلام ـ هنا ـ يرى العمل للدنيا جزءًا من الدين، كما يرى عمارة الأرض عبادة، وتنمية المجتمع فريضة، وتقوية الأمة مدنيًّا وعسكريًّا

QaradawiBooks.com

جهادًا في سبيل الله، والعمل على تحررها واكتفائها الاقتصادي من أفضل القربات إلى الله.

وبهذا يمنح الإسلام الأمة من الحوافز والتوجيهات والمناهج والمحركات المعنوية، ما يدفع عجلة التنمية إلى الأمام بقوة، وما يفجر الطاقات الكامنة في إنسانها، الذي هو هدف التنمية، وهو ـ أيضًا ـ صانعها[١].

العناية بالفئات الضعيفة في المجتمع:

١٤ ـ إسلام يعنى غاية العناية بالفئات الضعيفة في المجتمعات من العمال والفلاحين والحرفيين وصغار الموظفين، الذين هم عدة الإنتاج في السلم، والنصر في الحرب، كما أشار إلى ذلك الحديث الصحيح: «**هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم**»[٢]، فهو يحفظ لهم حقوقهم بالمعروف من الأجور الكافية والضمانات الواقية، فمن كلٍّ حسب طاقته، ولكلٍّ حسب عمله وحاجته معًا، كما يرعى الإسلام العاجزين عن العمل، أو الذين لا يجدون تمام كفايتهم من أجر عملهم، من الفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل، ويفرض لهم حقوقًا دورية، وغير دورية، «الزكاة، وما بعد الزكاة»، في أموال الأفراد القادرين، وفي مال الجماعة وموارد الدولة، ويعمل على تقريب الشقة بينهم وبين الأغنياء، فيحدُّ من طغيان الأغنياء، ويرفع من مستوى الفقراء، ولا يقبل في مجتمعه أن يبيت فرد شبعان وجاره إلى جنبه جائع، ويرى أن

(١) انظر كتابنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي صـ ١٢٥ ـ ١٩٤، فصل: القيم والأخلاق في مجال الإنتاج، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدولة مسؤولة مسؤولية مباشـــرة عن رعاية هؤلاء، فالإمام راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته[١].

ترشيد الفكرة الوطنية والقومية:

١٥ ـ إسلام يرى أن لا حرج على المســـلم أن يحب وطنه ويعتزَّ به، وأن يحـــبَّ قومه ويعتـــزَّ بهم، ما دام ذلـــك لا يتعارض مـــع حبِّه لدينه واعتزازه به، وبهذا لا يضيق صدره بالوطنيـــة أو القومية، إذا لم يتضمنا محتوى يعادي الإســـلام أو ينافيـــه، كالإلحاد، أو العلمانيـــة، أو النظرة المادية، أو العصبية الجاهلية، ونحوها.

ويتعاطف الإســـلام تعاطفًا خاصًّا مع العروبة المؤمنـــة، باعتبارها وعاء الإســـلام، وباعتبار العربية لســـان القـــرآن والسُّـــنَّة، ولغة العبـــادة والثقافة الإسلامية، وباعتبار العرب هم عصبة الإسلام وحملة رسالته، وباعتبار أرض العرب معقل الإسلام وحرمه، وفيها المســـاجد الثلاثة العظام، التي لا تشدُّ الرحال إلا إليها في مكة والمدينة والقدس، والعروبة المقصودة هي عروبة اللسان والثقافة، لا عروبة العرق والعنصر، فمَن تكلَّم بالعربية فهو عربي.

فالإسلام بهذا: يبني ولا يهدم، ويوحِّد ولا يفرِّق، ويقوِّي ولا يضعف، يدعو إلى وحدة الوطن وتماسكه، فوحدة العرب، فوحدة الأمة الإسلامية، سعيًا إلى وحدة الإنسانية، وتضامنها في ظلِّ مبادئ أخلاقية مشتركة.

الدعوة بالحكمة والحوار بالحسنى:

١٦ ـ إســـلام يقابل الفكرة بالفكرة، والشـــبهة بالحجة، فلا إكراه في الدين، ولا إجبار في الفكر، ولا عنف في الدعوة، فهو يدعو إلى سبيل

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويحاور المخالفين بالتي هي أحسن، يرفض العنف منهجًا، والإرهاب وسيلة، سواء وقع من الحاكمين أم من المحكومين، ويؤمن بالحوار الهادف البنَّاء، الذي يتيح لكل طرف أن يعرب عن نفسه بوضوح، مع الالتزام بالموضوعية وأدب الخطاب، الذي أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فلو كانت هناك طريقتان للحوار إحداهما حسنة، والأخرى أحسن منها وأجود، فالمسلم مأمور أن يحاور بالتي هي أحسن.

ومن ذلك: التركيز على نقاط الاتفاق والجوامع المشتركة، لا نقاط التمايز والاختلاف، تقربًا للآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

شرعية التعددية الدينية والسياسية:

١٧ ـ إسلام يؤمن بأن الله خلق الناس مختلفين، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، أي للاختلاف خلقهم؛ لأن الاختلاف ثمرة إعطاء العقل والإرادة، ولهذا يُقدِّر الرأي الآخر، سواء كان في فقه الدين أم في أوضاع السياسة، وأن الاختلاف رحمة وخير، إذا نشأ عن تعدد الرؤى والاجتهادات، وأن تعدد الأحزاب في النظام الإسلامي: أمر مشروع في إطار أصول الإسلام وأحكامه القطعية، وأن تعدد الأحزاب في السياسة، أشبه بتعدد المذاهب في الفقه، وكذلك تعدد الجماعات والحركات العاملة للإسلام، ما دام تعددها تعدُّد تنوُّع وتخصُّص، لا تعدُّد تضاد وتناقض، وتعدُّد تكامل وتعاون، لا تعدُّد تنافر وتشاحن، وما دامت تقف

QaradawiBooks.com

صفًّا واحدًا، في القضايا المصيرية، متناسية خلافاتها الجزئية، وما دام محورها جميعًا خير الأمة، ومصدرها القرآن والسنة، وهدفها نصرة الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقًا، وشعارها: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

بناء حضارة جديدة متميزة:

١٨ ـ إسلام لا يكتفي بالتغني بحضارته الزاهرة بالأمس، ولكنه يعمل على إبداع حضارة إسلامية معاصرة، تأخذ من حضارة اليوم أفضل ما عندها، من عناصر العلم والتكنولوجيا وحسن الإدارة والتنظيم، وتحتفظ هي بأصالتها وخصائصها؛ فهي حضارة، تتصل فيها الأرض بالسماء، وترتبط فيها القيم الربانية بالمعاني الإنسانية، وتتجلَّى فيها أصالة الإسلام، وروح العصر، ويجتمع فيها العلم والإيمان، ويلتقي فيها الحق والقوة، ويتوازن فيها الإبداع المادي، والسمو الأخلاقي، ويتآخى فيها نور العقل، ونور الوحي، (نور على نور).

حضارة تبرز فيها مقومات الإسلام وخصائصه، وتتجسَّد فيها أهدافه ومناهجه في بناء الفرد، وفي تكوين الأسرة، وفي تشييد المجتمع، وفي إقامة الدولة، وفي توجيه الإنسانية إلى التي هي أقوم.

حضارة متميزة عن حضارة المعسكر الشرقي المادية والإلحادية، وعن حضارة المعسكر الغربي النفعية العلمانية، حضارة لا تنتمي إلى يمين ولا يسار، بل تنتمي إلى الإسلام وحده؛ منه تستمدُّ، وعليه تعتمد، وإليه تهدف، وبه تتحرَّك وتنطلق، وفيه تبرز وتتفوَّق.

وهي ـ مع تميُّزها ـ تؤمن بالتفاعل بين الثقافات، والحوار بين الحضارات، والتعارف بين الأمم، والإخاء بين بني الإنسان حيثما كانوا،

QaradawiBooks.com

ولكنها تأبى أن تذوب في غيرها، وأن تفقد أصالتها وتميزها، لهذا ترفض كل أنواع الغزو الثقافي، والاستلاب الحضاري، والتسلط الأجنبي، وتقاوم الأساليب الملتوية، التي يدخل بها غزاة اليوم، متنكرين في ثياب الإنسان، وهم يخفون تحتها أنياب السباع، وسم الأفاعي، وروح الشيطان!

إقامة حياة إسلامية متكاملة:

١٩ ـ إسلام لا يجعل أكبر همِّه التطبيق الظاهري للجانب القانوني في الشريعة، وبخاصة جانب العقوبات فيه، من الحدود والقصاص، وإن كانت جزءًا، لا يجوز تعطيله من أحكام الشريعة.

ولكن معركته الأولى، ومهمته الكبرى، السعي الحثيث لإقامة حياة إسلامية حقيقية، لا شكلية، حياة تقوم على إصلاح ما بأنفس الناس، حتى يصلح الله ما بهم، في ظلها يُبنَى الإنسان المؤمن، والأسرة المتماسكة، والمجتمع المترابط، والدولة العادلة، التي تتَّصف بالقوة والأمانة، حياة إسلامية متكاملة، توجهها عقيدة الإسلام، وتحكمها شريعة الإسلام، وتسودها مفاهيم الإسلام، وتضبطها أخلاق الإسلام، وتجمِّلها آداب الإسلام.

حياة مجتمع متكافل متماسك، كالبنيان يشد بعضها بعضًا، لا يجوع فيه فرد وجاره إلى جنبه شبعان، يتوافر فيها العلم النافع لكل جاهل، والعمل المناسب لكل عاطل، والأجر العادل لكل عامل، والغذاء الكافي لكل جائع، والعلاج الناجع لكل مريض، والمسكن الصحي لكل مواطن، والكفاية التامة لكل محتاج، والرعاية المادية والاجتماعية لكل عاجز، وبخاصة الأطفال والشيوخ والأرامل والمعوقون. كما تتوافر في هذه الحياة القوة على كل صعيد: القوة في

QaradawiBooks.com

الفكر، والقوة في الروح، والقوة في البدن، والقوة في الخلق، والقوة في الاقتصاد، والقوة في السلاح والإعداد، بجوار قوة الوحدة، والتماسك، وأساس ذلك كله، قوة الإيمان.

توحيد الأمة للقيام برسالتها وتحرير أرضها:

٢٠ ـ إسلام يرى أن المسلمين ـ حيثما كانوا ـ أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على مَن سواهم، وأنهم إخوة، جمعتهم العقيدة الواحدة، وأن عليهم أن يزيلوا كلَّ العوامل المفرقة لجماعتهم، من الخضوع للعصبيات العنصرية والإقليمية، ومن التبعية للمناهج والأنظمة المستوردة: يمينية ويسارية. ومن الارتماء في أحضان الولاءات المعادية لأمتنا: غربية أو شرقية. ومن اتباع الأهواء والأنانيات الحاكمة، التي تدوس مصالح الأمة الكبرى، في سبيل مطامعها الصغيرة، ومكاسبها القريبة.

كما أن عليهم أن ينتقلوا بالتضامن الإسلامي القائم، من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل، وأن يشدوا أزره، ويوسّعوا نطاقه، حتى يصل إلى شكل سياسي من أشكال الاتحاد أو التكتل في عالمنا المعاصر، الذي رأيناه في التكتلات الاقتصادية والسياسة الكبرى، في أوروبا وأمريكا وغيرها. والذي لا يعيش فيه الصغير، إلا في حماية الكبير، ولا تنجح فيه إلا الدول أو الكتل الكبرى، وأمتنا جديرة أن تَكُون كتلة كبرى، إذا استجابت لنداء ربها، ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وعلى المسلمين متضامنين، أن يعملوا على تحرير «الأرض الإسلامية» من غاصبيها، على أن تبدأ كلُّ جماعة بتحرير وطنها الخاص،

QaradawiBooks.com

يعاونهم المسلمون في كل مكان، وبخاصة جيرانهم وأقرب الناس لهم، حسب حاجتهم العسكرية، والاقتصادية، والبشرية، وعملهم في هذا من أفضل الجهاد في سبيل الله وقد تتَّسع هذه الفرضية حتى تشمل المسلمين كافة، كل حسب وسعه.

ولفلسطين ـ خاصة ـ مكان متميز في جهاد المسلمين اليوم، فهي أرض النبوَّات، ومسرى النبي ﷺ، وبلد المسجد الأقصى، وهي قضية كل مسلم، حتى تتحرَّر أرضها السليبة، ويستعيد شعبها حقه، ويقيم دولته المستقلة في أرضه.

وهو ـ مع هذا ـ لا يجعل من المسلمين أمة عنصرية متعصِّبة، مغلقة على ذاتها، بل هي أمة منفتحة ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهي تعمل لإسعاد الناس، ونفع الناس، وهداية الناس، داعية الجميع أن يتعارفوا ولا يتناكروا، وأن يتفاضلوا بالعلم النافع والعمل الصالح، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

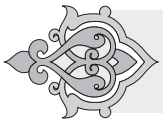

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٤٣
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٤٣
سورة البقرة		
﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	٢٨
﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	٨٥	٢٤
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ... ﴾	١٤٣	٧، ٦٠
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾	١٧٨	٢٣، ٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣	٢٣، ٤٣
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾	١٨٦	٦٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ... ﴾	٢٠٨	٤، ٢٤
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾	٢١٦	٢٤
﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾	٢٣٣	٤٦
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾	٢٥٦	٤٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ ...﴾	٢٦٠	٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	٢٢
﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾	٢٨٥	٥٦
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...﴾	١٩، ٢٠	٤
﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	١٠٢	٥٦
﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾	١٠٣	٧٦
﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٧٧
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾	١٥٩	٤٦
﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾	١٩٥	٦٣
سورة النساء		
﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾	٥٨	٤٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾	٧١	٢٧
سورة المائدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ...﴾	٣	١١، ١٩
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ﴾	٣٨	٤٣
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ ...﴾	٤٩	٢٤
سورة الأنعام		
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	٥٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ...﴾	٣١، ٣٢	٥٠
﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾	١٥٧	٢١
﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾	١٨١	٢١
سورة الأنفال		
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾	٦٠	٢٧
سورة التوبة		
﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾	١٩	٣٥
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	١٩
﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	٢٨
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾	٦٠	٣٢
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾	٧١	٤٣، ٦٣
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٣٢
سورة هود		
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾	٦١	٢٩، ٥٨
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ...﴾	١١٨، ١١٩	٧٣
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	٤٠
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾	٢٢	٥٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	٣٦	٥٦
﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	٦٨
﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	١٢٥	٧٣
سورة الإسراء		
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾	٧٠	٤٤
سورة طه		
﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾	٧٢	٤١
سورة الأنبياء		
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ... ﴾	١٠٥	١١
سورة الحج		
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ... ﴾	٤٠، ٤١	٥١
سورة المؤمنون		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ... ﴾	١ ـ ٤	٤٢
سورة النور		
﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ﴾	٢	٤٣
﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾	٣٢	٦٤
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ... ﴾	٥١	٥٦
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ... ﴾	٥٥	٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾	٨	٤٧
﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ ...﴾	٤٠	٤٧
سورة العنكبوت		
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	٧٣
﴿ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ...﴾	٤٦	٧٣
سورة الأحزاب		
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ...﴾	٣٦	٥٦
سورة فاطر		
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	١٤	٦٨
سورة الشورى		
﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾	٢١	٢٠
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	٤٦
سورة الحجرات		
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾	١٣	٧٧
سورة الذاريات		
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٢٨، ٥٧
سورة الرحمٰن		
﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٨، ٩	٤٣

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجمعة		
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾	١٠	٣١
سورة العلق		
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾	١	٩
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ... ﴾	٧، ٨	٥٥

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أعاذك الله من إمارة السفهاء يا كعب!	٤٧
اعقلها وتوكل	٢٧
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟	٣٥
ألم يكونوا يحلُّون لكم الحرام فتحلُّوه، ويحرمون عليكم الحلال فتحرموه؟	٢٠
إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد	٦٧
إن لجسدك عليك حقًّا	٦٢
إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله	٥
إنما النساء شقائق الرجال	٦٣
أولمتَ؟ قال: لا. قال: أَولِم ولو بشاة	٣٠
إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين	١٩
إياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة	٢٠
الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله	٣٥، ٤٢
ت	
تُؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم	٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
س	
ساعة وساعة	٦٢
ع	
عليك خمس صلوات في اليوم والليلة...	٣٦
ل	
لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى	٤٤
ليوم من والٍ عادل خير من عبادة ستين سنة	٤٥
م	
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	٥
مَن أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد	٢٠
مَن سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا	٣٧
مَن لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه	٢٢
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	٦٣
هـ	
هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم؟	٤٤، ٧١
هلك المتنطِّعون	١٩
و	
والصدقة برهان	٣٢
ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه	٣٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ي	
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟	٢٨
يا حنظلة، ساعة وساعة	٤٩
يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن	٣٨

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

❖ **ضوابط ومعالم لفهم الإسلام كما نؤمن به** **١١**

حقائق متفق عليها ١١

إلى أيِّ إسلام ندعو؟ ١٣

إسلامنا هو الإسلام الأول ١٥

إسلام واضح المعالم ١٧

معالم وضوابط للإسلام الذي نؤمن به ١٩

الضابط الأول: إسلام بلا زيادات ولا شوائب ١٩

الضابط الثاني: إسلام غير منتقص منه ٢١

QaradawiBooks.com

الإسلام كُلٌّ لا يتجزأ ٢٤

الضابط الثالث: إسلام غير مشوَّه ولا مُحرَّف ٢٦

هذا هو الإسلام، دين عمل وإنتاج ٣١

هذه الفريضة عليها حراس ثلاثة ٣٣

٤ ـ المحافظة على النِّسَب والتوازن بين الأعمال ٣٤

إخلال المسلمين بهذه النِّسَب ٣٧

٥ ـ شمولية الإسلام وتكامله ٣٩

أبعاد أربعة أساسية لبيان شمول الإسلام ٣٩

الشعبة الأولى: البعد الإيماني والأخلاقي ٣٩

الشعبة الثانية: البعد الاجتماعي ٤٢

الشعبة الثالثة: البعد السياسي ٤٥

الشعبة الرابعة: البعد الحضاري ٤٨

إسلامنا هو المنقذ ٥٠

❖ **الأصول العشرون لبيان الملامح الأساسية للإسلام وموقفه**

من قضايا الحياة ٥٣

الأصول العشرون ٥٤

الإيمان بالله ولقائه ورسالاته ٥٥

QaradawiBooks.com

تكريم الإنسان وتعريفه بواجباته وحقوقه ٥٧

فرض الإسلام على الإنسان واجبات يؤديها ٥٧

مخاطبة العقل والانتفاع به ٥٨

الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد ٥٩

الدعوة إلى الوسطية والتوازن ٦٠

الواقعية المتوازنة التي تهتم بالإنسان كله ٦١

تكريم المرأة وتحريرها من ظلم الجاهليات ٦٣

الأسرة أساس المجتمع ٦٤

الاهتمام بالتربية والتعليم والإعلام ٦٥

تقوية أواصر الإخاء بين الناس ٦٧

لا كهانة في الإسلام ٦٨

حكومة العدل والشورى الملزِمة ٦٩

المحافظة على المال وتنميته ٧٠

العناية بالفئات الضعيفة في المجتمع ٧١

ترشيد الفكرة الوطنية والقومية ٧٢

الدعوة بالحكمة والحوار بالحسنى ٧٢

شرعية التعددية الدينية والسياسية ٧٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بناء حضارة جديدة متميزة ٧٤

إقامة حياة إسلامية متكاملة ٧٥

توحيد الأمة للقيام برسالتها وتحرير أرضها ٧٦

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٨١**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٨٧**
- **فهرس الموضوعات ٩١**

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com